



المؤسسة العربية الحديثة
تطبع والنشر والتوزيع

9-01003-2 2002-04-04 2002-04-04



رجل



وما يعادل دولارا
أمريكيًا في سائر
الدول العربية
والعالم

(رجل المستحيل) .



العدد القادم : الفهد الأبيض

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يحيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نيل فاروق

١ - الاستجواب ..

جلس مأمور قسم الشرطة الصغير في (برشلونة) ، يتطلع في سخط وغضب إلى الشرطى الواقف أمامه ، والذى يبدو في ملامحه مزيج من الخجل ، والقلق ، والارتباك ، والذى انتفض جسده في توتر ، حينما هتف المأمور في خنق :

— أهذا ما تعلمته في أكاديمية الشرطة الإسبانية أيها الأحق ، أن تسلم سيارتك الخاصة لأى شخص يرتدى ثياب الشرطة ، ويتحدث إليك في صرامة ؟

ارتبك الشرطى ، وهو يغمغم في تلثم :

— لقد كان يبدو واثقا ، حازما ياسيدى ، حتى أنى

قاطع المأمور في سخط :

— كان ينبغي أن يسلمك أمرا مكتوبا ، وممهورا بتوقيع

أيها الغبى .

خفض الشرطى عينيه ، وأطرق برأسه في خجل واعتراف

بالذنب ، فلوح المأمور بذراعه في غضب ، وهو يقول :

— ستحاكم من أجل ذلك ، وستلقى أقصى عقوبة ممكنة .

غمغم الشرطى في شحوب :

— نعم يا سيدى .

زفر الأمور في قوة ، وقال بعد لحظة من الصمت :
— وماذا عن ذلك البدين ؟ .. هل اعترف ؟

غمغم الشرطي :

— إنه يرفض النطق بكلمة واحدة يا سيدي .

التقى حاجبا الأمور في غضب ، وقال في جدّة :

— من يظن نفسه ؟

ثم نهض من خلف مكتبه ، وقال في صرامة :

— سأجبره أنا على النطق .

وفي خطوات سريعة عبر حجرته ، واجتاز زدهة القسم إلى
حجرة جانية ، اقتحمها في خشونة ، وتطلّع في صرامة إلى الرجل
البدين ، الذي يجلس هادئاً ، على الرغم من الأغلال الحديدية ،
التي تحيط بمعصمه ، والذي رفع عينيه إلى الأمور في مزيج من
الاستهتار والسخرية ، مما دفع الأمور إلى أن يصرخ في غضب :
— من أنت أيها الرجل ؟

ابسم البدين في هدوء ، وقال :

— لست أتحدث الإسبانية بطلاقة ، وكل ما أستطيع قوله
هو أن اسمي (قدرى) ، وأنا سائح مصري هنا ، وأنتم ترتكبون
خطأ رهيباً باحتجازي دون جريمة .

عاد الأمور يصرخ بكلمات ساخطة ، متوعدة ، ولكن

(قدرى) لم يفهم كلمة واحدة منها ، بل إنه لم يحاول ذلك ،
فلقد كان عقله شاردًا ، وذهنه يسبح مع ذكريات تلك
الرحلة ، التي قادته مع (أدهم) و (منى) إلى هذا الموقف ..
تذكر كيف بدأ الأمر بثلاثة تذكرات أهداها الدكتور
(أحمد صبرى) من (السويد) ، لشقيقه (أدهم) ، لقضاء
رحلة رائعة ، على متن (عروس المتوسط) ، أشهر سفينة
سياحية وأفخمها في العالم كله ، وكيف أن (أدهم) دعاه
و (منى) لمشاركته في رحلته ، وهم يتوقعون إجازة هادئة
ممتعة ..

ولكن يبدو أن العواصف كلها تجتمع ، حيث يوجد
(أدهم صبرى) ..

لقد تحولت الإجازة الممتعة إلى سلسلة لانهاية ، من
المخاطر ، والصراعات ، والدمار ..

وتذكر (قدرى) كيف بدأ الأمر على ظهر السفينة ، حينما
تقابل (أدهم) مع اثنين من أعوان (تيدى فولسونج) ، زعيم
(سكوريون) الجديد ، ومالك (عروس المتوسط) ، الذي
أعدّ هذا الفخ لهم ، وكيف حاول (بن كريم) خداعهم في
(تونس) ، وكيف نجوا بأعجوبة من قتال مع مائة رجل ، في
أحد أزقة (تونس) الضيقة ..

ثم انتقلت المعركة إلى (برشلونة) ، حيث استعان
(فولسوج) بـ (دونا ماريانا) ، شقيقة دونا (ماري) ، التي
أصرت على قتالهم ..
وقادت هذه الأفكار (قدرى) إلى سؤال أثار قلقه
وخبرته ..

ماذا فعل (أدهم) بعد أن افترقا ؟ ..
هل عثر على (منى) ، التي اختطفها (ماريانا) ؟ ..
وأين هما ؟ ..
أين (أدهم) و (منى) ؟ (*)

لقد أغرقتهما كفأرين قدرين يا سيور (فولسوج) ،
نطقت دونا (ماريانا) بهذه العبارة في جذل ، وعيناها
تألقان في مزيج من الشماتة والوحشية ، فحدق (فولسوج)
في وجهها بدهشة ، وغمغم في قلق :
— هل أنت واثقة يا دونا ؟ .. إن هذا الشيطان المصرى
كالقطة ، يمتلك ببعة أرواح .

(*) لمزيد من التفصيل ، راجع الجزء الأول (رحلة الهلاك) ..
المغامرة رقم (٥٤) .

أطلقت (ماريانا) ضحكة عالية ، وقالت :
— يبدو أنه استهلك الأرواح الستة الأولى ، قبل أن نلتقى
يا سيور (فولسوج) .
حاول (فولسوج) أن يتسم ، إلا أن الشك عاد يعربد
في أعماقه ، فغمغم :

— هل رأيت جثيما يا دونا ؟
قلبت (ماريانا) شفتيها في امتعاض ، وقالت :
— لم ترفض تصديق الأمر ؟ .. هل يعث ذلك الشيطان
المصرى (السابق) ، كل هذا الرعب في أعماقك ؟
زفر (فولسوج) في ضيق ، وقال :

— يقول أصدقائنا في (الموساد) ، إن الوسيلة الوحيدة
للتأكد من مصرع (أدهم صبرى) ، هي رؤية جثته .
حدجته (ماريانا) بنظرة باردة ، ثم أشارت إلى شقيقها
(ماريو) ، الذى تغطى نصف وجهه بالضمادات ، بعد
صراعه السابق مع (أدهم) ، وقالت في لهجة آمرة :
— مَرَّ الرجال بإفراغ المياه ، وإحضار جثى (أدهم)
وزميلته يا (ماريو) .

أسرع (ماريو) ينفذ الأمر ، في حين نهضت هي ،

وافرغت بعض الخمر في كأسين من البلور ، ناولت إحداها لـ (فولسونج) ، وأحاطت الأخرى بكفها ، وهي تقول في هدوء :

— أنا أيضاً أكره (أدهم صبرى) هذا ، وأكره أكثر زميلته (منى) ، فقد تسبباً في مصرع شقيقتى الكبرى (ماريان) ، منذ عامين ، ولقد نجحت أنا في اختطاف الفتاة ، وعرضتها لأساليب تكفى لقتلها رعباً ، لولا أن نجح هذا الشيطان المصرى في اقتحام قصرى ، متحلاً بشخصية رجل شرطة ، وأمكنه السيطرة على الموقف ، وأجبرنى على قيادته إلى القبر ، الذى أضع فيه زميلته ، ولكننى نجحت في الإفلات منه ، وسجن هو نفسه داخل القبر ، فما كان منى إلا أن ملأت القبر بالمياه ، غير فتحة التهوية ، وتركته يغرق مع زميلته اللعينة ، كما تفرق الفئران .

كانت تتحدث في شماتة ، وعيناها تتألقان في ظفر وشهوة ، حتى أن (فولسونج) نفسه شعر بالاضطراب ، وهو يغمغم : — ألا يمكنهما الفرار من الغرق ؟

أطلقت ضحكة ساخرة ، وهي تقول :

— كيف يا سيور (فولسونج) ؟ لا يوجد للقبر سوى

مخرجين ، الباب الفولاذى ، وأنا أترك رجلين لحراسته منذ أمس ، ولديهما أوامر مشددة بإطلاق النار ، إذا ما حاول أحدهم فتح الباب .. وهناك فتحة التهوية ، وهي صغيرة حتى أنها لا تكفى إلا لعبور هزة صغيرة ، فمن أين يمكنهما الفرار ؟ وازداد تألق عينيها ، وهي تقول في شراسة :

— اطمئن يا سيور (فولسونج) ، لقد انتهى الشيطان المصرى وزميلته تماماً .

★ ★ ★

أخذ (فولسونج) يتطلع إلى ساعته في ملل واضح ، وارتباك ملحوظ ، مما حدا به (ماريانا) إلى أن تسأله في دلال :

— ماذا دهاك يا سيور (فولسونج) ؟ هل الحديث معى ممل إلى هذا الحد ؟

هتف (فولسونج) في توكر :

— لا .. لا .. ألبتة يا دوننا .. وإنما كنت أفكر في (ماريو) ، الذى لم يعد منذ نصف ساعة ، وأخشى أن

قاطعه في تلك اللحظة صوت (ماريو) ، وهو يقول في هدوء :

— لا تخش شيئاً يا سنيور (فولسونج) .. هأنذا .

سأله (ماريانا) في جِدة :

— لماذا تأخرت يا (ماريو) ؟

لَوْح بذراعه ، وهو يقول :

— كنا ندفن جثتي ذلك الشيطان ورفيقتة يا (ماريانا) .

تألفت عيناهما ، وهي تقول في ظفر :

— إذن فقد قضيا نحبيهما .

أما (فولسونج) ، فهتف في حنق :

— لماذا لم تدعيني أراهما أولاً ؟

قلب (ماريو) شفطيه ، وقال :

— لم يكن منظرهما ليروق لك يا سنيور ، ثم إنك أردت

التأكد من مصرعهما فقط .. أليس كذلك ؟

تردّد (فولسونج) لحظة ، ثم غمغم :

— ولكن .. ربّما !!

قاطعه (ماريو) في سخرية :

— ربّما ماذا ؟ .. هل تظن أن أحدا تسلّل إلى القبور ،

وأغرق نفسه بدلاً منهما ؟ .. أم تظنهما انكمشاً مع كثرة المياه ،

فأمكنهما عبور فتحة التهوية الصغيرة ؟

ارتبك (فولسونج) لحظة ، ثم تبين له صحة منطق

(ماريو) ، فتهد في ارتياح ، وقال :

— إذن فقد قضى الشيطان أخيراً ! .. يا إلهي !! لقد

حقّقنا معجزة يا عزيزتي (ماريانا) .

ثم نهض من مقعده ، فسأله (ماريانا) في هدوء :

— إلى أين يا سنيور (فولسونج) ؟

ابتسم في ارتياح ، وهو يقول :

— سأذهب مع مساعدي (هنريك) إلى (عروس

المتوسط) يا دونا ، وسأكمل معها الرحلة ، حول موانئ

البحر المتوسط ، فأنا أحتاج إلى قدر كبير من الراحة ، بعد أن

انتهى ذلك الكابوس .

غمغمت (ماريانا) في نصر :

— نعم .. انتهى كابوس الشيطان المصري .. كابوس

(أدهم صبرى) .

٢ — ونهضت العنقاء من الرماد ..

وقفت (ماريانا) خلف نافذتها الزجاجية ، تتأمل
الهيوكوبتر الخاصة بـ (تيدى فولسونج) ، وهي ترتفع مبتعدة
عن ساحة القصر ، ثم غمغمت في ارتياح ، دون أن تلتفت إلى
شقيقها (ماريو) :

— لقد حققنا معجزة حقًا يا (ماريو) .

لَحَلَّ إليها أن صوته يحمل زلَّةً ساخرة ، وهو يغمغم في
هدوء :

— حقًا ؟

ولكنها تجاهلت زلَّة السخرية هذه ، لثقتها في استحالة
صدورها من (ماريو) ، وعادت تستطرد في هدوء :

— هل تعلم يا (ماريو) أننا سندخل التاريخ ؟ فقد نجحنا
فيما فشلت فيه عدة منظمات قوية ، مثل (المافيا) ،
(سكوربيون) ، وأجهزة مخابرات عنيفة كـ (الموساد) ،
(الكي . جي . بي) ، و (السي . آي . إيه) .. لقد نجحنا
نحن وحدنا في قتل (أدهم صبرى) .

مرَّة أخرى لَحَلَّ إليها أن صوته يحمل زلَّةً ساخرة ، وهو
يغمغم :

— نعم .. لقد حققنا معجزة يا (ماريانا) .

عقدت (ماريانا) حاجبيها في شدة ، وغمغمت في همس :

— هل من الممكن ؟ .. لا .. مستحيل !!

سألها (ماريو) في هدوء :

— ماذا تقولين يا أختاه ؟

التفتت إليه في حذوة ، وخذجته بنظرة عجيبة ، ثم ابتسمت

ابتسامة عصبية ، وقالت :

— لا شيء يا عزيزي (ماريو) .. لا شيء .. كنت

أحادث نفسي فحسب .

ثم التقطت حقيبتها الصغيرة ، وهي تستطرد في مرح عصبى

عجيب :

— كنت أتساءل أين وضعت قذاحتي و ؟

وفجأة .. التقطت من حقيبتها مسدسًا ، وصوبته إلى صدر

(ماريو) ، وهي تقول في حذوة :

— قد تهمنى بالجنون يا (ماريو) ، ولكننى أريد منك أن

تنزع الأربطة والضمادات عن وجهك .. الآن .

هتف (ماريو) في دهشة :

— (ماريانا) ؟ .. ماذا تقولين ؟ .. هل جئت ؟

صرخت في غضب وتوكر :
— الآن يا (ماريو) .. الآن أو أطلق النار على رأسك
دون تردد .

وفجأة .. تبدلت لهجة (ماريو) ، وانقلبت إلى لهجة
ساخرة عجيبة ، وتألقت عيناه ببريق عابث ، لم تألفه
(ماريانا) أبداً ، وهو يقول :

— حسناً يا عزيزتي (ماريانا) .. لقد انكشف الأمر ،
ولن أتمادى في تمثيل هذا الدور السخيف .
تراجعت (ماريانا) في ذهول ، وارتعش صوتها ، وهي
تهتف :

— هذا مستحيل !! مستحيل !! إنك .. إنك
وفجأة .. شعرت بفوهة مسدس باردة تلتصق بمؤخرة
عنقها ، وسمعت صوت (منى) الساخر يقول :
— نعم يا أفعى (برشلونة) .. إنه (أدهم صبرى) .

★ ★ ★

على الرغم من أن هذا ما كانت تتوقعه (ماريانا) تقريباً ،
إلا أن المفاجأة جاءت أكبر وأقوى مما تحتمل ، فانهارت فوق
مقعدها ، دون أن تدير رأسها إلى (منى) ، وهي تغتمغ في
ذهول رهيب :



وفجأة .. التقطت من حقيبتها مسدساً ، وصوبته إلى صدر (ماريو) ..

— مستحيل !! كيف حدث هذا ؟ .. كيف نجوتما ؟

تنهد (أدهم) ، وهو يقول :

— صدقيني ، لم يكن ذلك سهلاً يا (ماريانا) .

وقلب شففيه لحظة ، قبل أن يستطرد في هدوء :

— لقد كان من الواضح أن غرقنا أمر محتم ، لا أمل فيه

للنجاة ، والماء يرتفع حولنا في سرعة ، ويملأ القبو ، وكان من

الواضح أيضاً أن فتحة التهوية أصغر من أن تسمح بفرارنا ،

ولكنها كانت ترتفع خمسة أمتار ، وهذا ما أنقذنا .

ثم ابتسم وهو يردف ضاحكاً :

— لقد أنقذتنا نظرية الأوالى المستطرفة .

غمغمت (ماريانا) في ذهول :

— نظرية ماذا ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— الأوالى المستطرفة يا عزيزتى الأفعى .. إنها نظرية

فيزيائية ، تقول إن الماء يتخذ منسوباً واحداً مهما اختلف شكل

الآنية الموضوع بها ، مادامت قواعد هذه الآنية متصلة بعضها

ببعض ، والماء يسبح من إحداها إلى الأخرى .

اغتلط ذهول (ماريانا) بالتساؤل ، فأردف (أدهم) :

— يبدو أنك حملت إلينا الماء من حوض السباحة الخاص

بك أيتها الأفعى ، لذا فقد ظل الماء يرتفع في القبو ، حتى بلغ

ارتفاع الماء في حوض السباحة ، فوقف تدفق المياه ، حينما

وصل سطحها إلى ارتفاع أربعة أمتار وتسعين سنتيمتراً داخل

القبو ، وبقيت لدينا عشرة سنتيمترات لتنفس أنا و (منى) ،

إلى أجل غير محدود .. كما كان علينا أن نسبح طوال الوقت

لتفادى الغرق ، إلا أن مستوى فتحة التهوية كان يعلونا ؛ لذا

فقد حملت حزامي ، وربطته في فتحة التهوية ، ثم ربطت طرفه

الآخر حول وسط (منى) ، وتعلقت أنا بفتحة التهوية يوماً

كاملاً .

غمغمت (ماريانا) ، وذهولها يتضاعف :

— مستحيل !!

هز (أدهم) كفيه ، وقال :

— لقد قلت هذا لنفسى ، بعد أن مضت أربع وعشرون

ساعة ، وأنا متعلق بفتحة التهوية .. لقد قلت لحظتها إنه من

المستحيل أن أظل هكذا للأبد ، ولكنك تعجلت التأكد من

مصرعنا ، فأمرت رجالك بإفراغ القبو من المياه .. وهكذا

أنقذت حياتنا ، قبل أن يملكنا اليأس .

وضحك أمام ذلك الألم والتهم ، اللذين ارتسما في
ملاعها ، وهو يتابع قائلاً :

— لا يمكنك أن تصوّري مدى الذهول والرعب ، اللذين
أصابا شقيقك ورجليك ، حينما فوجئوا بنا على قيد الحياة ..
كانوا كمن رأى العنقاء (*) تنهض من وسط الرماد ، ولقد كان
من السير استغلال ذهولهم ورعبهم ، وتحطيم وجوههم في
لحظات ، ثم ساعدني حسن الحظ ، مع الضمادات التي يحيط
بها شقيقك وجهه ، والشعر المستعار الذي يخفي به رأسه
الأصلع ، على أن أنتحل شخصيته بسهولة .

غمغمت (ماريانا) في صوت متحشرج حائق .
— هذا إذن هو سبب تأخر (ماريو) نصف ساعة !
رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :
— نصف ساعة ؟! .. إن انتحال شخصية هذا الوغد
يستغرق عشر دقائق على الأكثر .
ثم ابتسم في خبث ، وهو يقول :

(*) العنقاء : طائر أسطوري ، تحدث عنه الأقدمون ، ويقولون إنه
كان يتحوّل إلى شعلة من النار حينما يموت ، ثم يعود لينطلق حياً مرة أخرى
من وسط الرماد المتخلف عن مصرعه ومحرقه .



ولكنك تعجّلت التأكد من مصرعنا ، فأمرت
رجالك بإفراغ القبو من المياه ..

٣ — الهروب ..

أفسح رجال دونا (ماريانا) الطريق في احترام وهدوء ،
أمام (منى) ، التى تتحلل شخصية زعيمهم ، و (أدهم)
الذى بدا فى هيئة شقيقها (ماريو) ، ولقد بدا الاثنان وكأنهما
يناقشان أمراً غاية فى الأهمية ، وهما يخترقان صفوف رجال دونا
(ماريانا) ، فى خطوات هادئة وثقة ، ولكن لو أن أحد هؤلاء
الرجال اقرب منهما ، لسمع (منى) تغمغم فى توكر ، لا يتفق
والابتسامة المرتسمة على شفها :

— يا إلهى !!.. يكبل إلى أننى قطعة من الطعام ، تسير
وسط صفين من الأسنان الحادة ، وهى تتوقع أن تطبق عليها
هذه الأسنان فى أية لحظة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى صوت خافت هادئ :
— اطمئنى يا عزيزتى .. ما هى إلا خطوات ، ونجتاز هذا
الموقف السخيف .

غمغمت فى قلق :

— وماذا لو أن أحدهم تقدم منى ، وسألنى سؤالاً ما ؟
هز (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :
— دعينى أجب بدلاً منك يا عزيزتى .

— لقد استغرقت الوقت الإضافى لتبديل ملاح زميلتى ،
مستخدماً بعض أدوات الزينة الخاصة بك يا عزيزتى
(ماريانا) ، وبعض العدسات اللاصقة ، التى تخفين بها ضعف
بصرك ، فقد كان على أن أؤمن وسيلة فرار .
فجرت عبارته فضولها ، فأدارت عينها إلى حيث تقف
(منى) خلفها .. ولم تكذب فعل حتى شهقت فى قوة وذهول ،
ثم سقطت فاقدة الوعي ..
فقد كانت (منى) نسخة طبق الأصل من (أفعى
برشلونة) .



كانا قد اقتربا في أثناء حديثهما من إحدى السيارات ،
فتفتحا (أدهم) ، وهو ينحنى مغفمًا في هبة أقرب إلى
السخرية :

— تفضل يا أميري .

ابتسمت (منى) ، وهي تتخذ المقعد المجاور للسائق ، في
حين اتخذ (أدهم) مقعده ، أمام عجلة القيادة ، وأدار محرك
السيارة ، فهرع إليه رجل يحمل مدفعًا رشاشًا ، وقال في
اهتمام :

— هل ستخرج دونا (ماريانا) لنزهة قريبة يا سنيور
(ماريو) ؟

أجابه (أدهم) في خشونة :

— وما شأنك أنت ؟

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

— إنها الأوامر يا سنيور (ماريو) .. لا بد أن يصحبكما
طاقم الحراسة .. أليس كذلك يا دونا ؟

ارتبكت (منى) بدورها ، وهي تبحث عن جواب
مناسب ، ولكنها قبل أن تفتح شفتيها ، ارتفع صوت دونا
(ماريانا) ، غتر مكبر صوتي قوي ، تهتف في توثر وغضب :

— هنا دونا (ماريانا) .. زعيمكم الحقيقية .. لقد قرأت
فناة المخابرات المصرية ، وزميلها الشيطان .. إنهما يتحلان
شخصيتي ، وشخصية (ماريو) .. لا تسمحوا لهما بالفرار ..
اقتلوهما .. أكرر .. اقتلوهما بلا رحمة .

★ ★ ★

فجرت صرخة (ماريانا) ذهول رجالها ، فالتفت أعينهم
نحو (أدهم) و (منى) ، ثم ارتفعت فوهات مدافعهم
الرشاشة إلى سيارتهما ، وبخاصة الرجل ، الذي كان يتحدث
إلى (أدهم) منذ لحظات ، فقد رفع فوهة مدفعه الرشاش في
وجه بطلنا ، وهو يهتف في مزيج من الدهشة والغضب :

— لماذا لم تفهمي أيها المزيف .

وفجأة .. دفع (أدهم) باب السيارة في وجه الرجل ،
بكل ما يملك من قوة ، وضغط في الوقت نفسه دواسرة
الوقود ، واعتصره في أرضية السيارة ، التي انطلقت فجأة ،
وعجلاتها تصرخ في قوة ، وخلفها رصاصات رجال دونا
(ماريانا) ، وكان على (أدهم) أن يستخدم مهاراته في
القيادة إلى أقصى درجة ..

وبدا الموقف عجيبًا ، حادًا ، متشابكًا ، و (أدهم) يميل

بالسيارة يمينا ويسارًا ، وينطلق بها إلى الأمام تارة ، ثم ينحرف بها فجأة ، ويدور حول نفسه ، وينطلق مرة أخرى ، ليتفادى الرصاصات التي تنال كالطر ، والتي حطمت الزجاج الخلفى للسيارة ، وأصابت جسدها بجراح عنيفة ..
وأخيرًا .. لاحت له (أدهم) و (منى) بؤابة القصر ، واندفع نحوها (أدهم) بأقصى سرعة ، وهتفت (منى) في دُعر :

— ماذا ستفعل ؟ .. هناك تيار كهربى قوى يسرى فى البؤابة ، وهى مصممة لاحتال صدمات قوية .. إننا لن .. قاطعها (أدهم) فى صرامة :

— كفى يا (منى) .. إننى أقود العملية .
حبست أنفاسها ، حينما انتزع من طيات ثيابه مسدسًا ، صوبه يُسراه إلى البؤابة ، دون أن يخفف من سرعة اندفاع السيارة ، التى يقودها بيمناه فقط ، ولم تستطع (منى) منع نفسها من أن تهتف :

— ماذا تفعل ؟
ولكن سؤاها تلاشى ، مع صوت الرصاصة التى انطلقت من مسدس (أدهم) ، نحو البؤابة الضخمة .

★ ★ ★

لا أحد يمكنه وصف ذلك الدهول ، الذى أصاب (منى) ، حينما انفتحت البؤابة على مصراعها ، أمام عينيها ، إثر رصاصة (أدهم) ، وشاركها ذهولها حارس البؤابة ، الذى أخذ يطلق رصاصات مدفع الرشاش فى جنون ، حتى أصابت رصاصة (أدهم) كفه ، وأجبرته على ترك المدفع الرشاش ، وهو يصرخ ساخطًا متألمًا ، وسيارة (أدهم) و (منى) تعبر البؤابة المفتوحة ، إلى جواره تمامًا ، وتبتعد عن القصر فى سرعة مذهلة ..

وهتفت (منى) فى ذهول :

— كيف فعلت ذلك ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء ، وهو يواصل انطلاقه بأقصى سرعة :

— هناك زرّ إلى جوار حارس البؤابة ، يمكنه فتحها على مصراعها يا عزيزتى ، ولقد أطلقت الرصاص على هذا الزرّ .
سقطت فك (منى) السفلى ، وهى تحدّق فى وجهه ، وتغمغم فى ذهول :

— أصبت زرًا فى حجم القرش ، على بعد ثلثائة متر تقريبًا ، وبرصاصة واحدة ، مستخدمًا يدك اليسرى ، وأنت تقود سيارة فى الوقت ذاته !؟

ثم انتابتها فجأة موجة من الضحك ، وهي تهف :
— يا إلهي !!.. كان ينبغي أن أدرك ذلك ، كان ينبغي
أن أتعلم اعتياد ذلك ، من طوال عمل مع (رجل المستحيل) ..
كان ينبغي ..

قاطعها (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :
— لم ينته الأمر بعد يا عزيزي ، إن (ماريانا) ترفض قبول
فكرة فرارنا بسهولة .

التفت خلفها في توثر ، وهي تقول :
— ولكن لا توجد سيارات تطاردنا يا (أدهم) .

ضاقت عيناه ، وهو يغمغم في هدوء :

— ليست سيارات هذه المرة يا عزيزي .

ولم يكدهم عبارة ، حتى تنهت (منى) إلى صوت
الهليكوبتر ، التي تندفع نحوهما في إصرار ، ولم تكده تنبه إليها ،
حتى انهمرت رصاصات الهليكوبتر على السيارة .

★ ★ ★

اتخذ (أدهم) مساراً متعرجاً ، محاولاً تفادي رصاصات
الهليكوبتر ، التي طاردت السيارة في إصرار وشراسة ،
وهفت (منى) ، حينما اخترقت رصاصة سقف السيارة ،
وغاصت في مقعدها ، على بعد سنتيمترات من جسدها :

— يا إلهي !!.. سيقتلوننا هذه المرة يا (أدهم) .
تطلع (أدهم) في قلق إلى مؤشر الوقود ، وقال :
— يمكننا الفرار منهم لدقيقة أخرى يا (منى) ، وبعدها
ستوقف السيارة لنفاذ الوقود ، وسنخسر كل شيء .
ثم عقد حاجبيه في قوة ، وهو يتمم :

— إلا إذا

هفت (منى) في لفة :

— إلا إذا ماذا ؟

استدار إليها ، وسألها في صرامة :

— أيمكنك الانتقال إلى مقعد القيادة في سرعة ؟

هفت دون أن تفهم ما يعنيه :

— بالطبع .. ولكن

قاطعها وهو يتخلى عن عجلة القيادة ، ويتزع مسدسه :
— هيا إذن .

وفي نفس اللحظة كانت الهليكوبتر تنقض على السيارة ،
وقفز (أدهم) خارج السيارة ، وتعلق بالهليكوبتر في مهارة
مذهلة ، جعلت قائدها يفقد السيطرة عليها لحظة ، فميل
مراوحها نحو الأرض ، قبل أن يتمالك جأشه ، فيعتدل ، ويرتفع
بالهليكوبتر ، هاتفاً في توثر :

— يا للشيطان !! .. كيف فعل ذلك ؟

وكانت (منى) تصرخ بالعارة نفسها ، وهي تقفز إلى مقعد القيادة ، محاولة السيطرة على السيارة ، وعيناها تتطلعان في ذهول إلى الهليكوبتر ، التي ترتفع ، حاملة معها (أدهم صبرى) ..

وبصرخة أخيرة ، توقف محرك السيارة ، بعد أن نفذ وقودها تمامًا ، وخفق قلب (منى) ، حينما اختفت الهليكوبتر في الأفق ، وغمغمت في توثر بالغ :

— (أدهم) !! .. إنك تبالغ يا (أدهم) .. تبالغ كثيرًا .
وانقبض قلبها في قوة ، حينما راودها شعور قوى ، بأن هذه الهليكوبتر تحمل (أدهم) إلى الجحول ..
إلى الموت .

★ ★ ★



وتعلق بالهليكوبتر في مهارة مذهلة ، جعلت قائدها يفقد السيطرة عليا .

٤ — العقل أولاً ..

زاد قائد الهليوكوبتر من سرعتها إلى أقصى حد ممكن ، وهو يطلق ضحكة ساخرة ، ويهتف في شماته :
— تثبث جيداً أيها الشيطان المصرى ، سأجعل الرياح تمزقك إرباً ، ولن يتبقى منك إلا فحات .
وفجأة .. احترقت رصاصة أرضية الهليوكوبتر ، وعبرت سقفها ، فهتف قائدها وقد تلاشت سخريته ، وتحولت إلى غضب هائل :

— يالك من مكابر !! ويل لك منى !! مأ
وابتلع الرجل باقى حروف آخر كلماته في ذهول ، فقد رأى (أدهم) يخرق باب الهليوكوبتر الزجاجى الجانبى ، ويندفع إلى داخلها ، وتصلبت قبضتها قائدها ، وسقطت فكّه السفلى ، وجحظت عيناه .. ولقد أشفق (أدهم) على مظهره هذا ، فهوى على فكّه بلكمة قوية ، أرخت قبضتى الرجل ، وأغلقت عينيه ، وأسقطته فاقد الوعى ، في حين احتل توازن الهليوكوبتر ، وبدأ وكأنها مستهوى من حاليق ، إلا أن (أدهم) أزاح قائدها عن مقعده ، وقفز يسيطر عليها في مهارة ، حتى استعادت

توازنها ، فاستدار بها عائداً إلى حيث ترك (منى) ، وهو يفهم في سخرية :

— هزيمة أخرى لك يا دونا (ماريانا) .
ولقد بدت (منى) شديدة الفرح والسعادة ، حينما هبط إلى جوارها بالهليوكوبتر ، وألقى جسده قائدها الفاقد الوعى خارجها ، ثم عاون (منى) على الصعود إليها ، وعاد ينطلق بها ، وهو يقول في مرح :
— ها هي ذى (ماريانا) تهدينا وسيلة مواصلات أليفة يا عزيزتى .

ضحكت (منى) في مرح ، وقالت :
— والآن إلى أين ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب في هدوء :
— سنحاول أولاً استعادة رفيقنا (قدرى) ، ثم نلحق به (عروس المتوسط) قبل إقلاعها يا عزيزتى .

هتفت في دهشة :

— هل تعنى أننا ؟....

أجابها في هدوء :

— نعم يا عزيزتى .. سنكمل رحلة الهلاك

★ ★ ★

تردّد الرجل ، الذى يقف أمام دونا (ماريانا) ، وهو
يفهم فى ارتباك :

— لقد نجح فى الفرار ، واستولى على الهليكوبتر بواسطة
شيطانية ، حتى أن قائدها لم ينجح فى
قاطعه دونا (ماريانا) فى غضب :

— أى رجال أنتم ؟.. بل أى دُمى أنتم ؟.. رجل واحد
ينجح فى الاستيلاء على هليكوبتر ؟.. لو أنها طائرة ورقية
لبات الأمر أصعب من أن ينجح رجل واحد فى الاستيلاء
عليها .

غمغم الرجل فى خنق :

— إنه ليس رجلاً عادياً يا دونا .. إنه

قاطعه (ماريو) ، وهو يقول فى خنق :

— إنه شيطان !!

التفتت (ماريانا) إلى شقيقها ، وهى تقول فى جدّة :

— حتى الشياطين تحرقها نيران الجحيم يا (ماريو) .

صاح (ماريو) فى خنق :

— ألا هذا .. أراهنك أن الشياطين نفسها تخشاه .

لوّحت بذراعها فى وجهه ، وهى تقول فى غضب :

— كفى يا (ماريو) .. كفى .

وعضت شفتيها ، وهى تستطرد فى سخط :

— لقد أخطأنا فى التعامل معه يا (ماريو) .. الجميع

أخطئوا فى أسلوب التعامل معه ، فالقوة ليست الوسيلة المثل

لهزيمة (أدهم صبرى) .

ثم أردفت فى عمق :

— بل العقل أولاً .. ثم القوة .

عقد (ماريو) حاجبيه ، وهو يقول :

— ماذا نغنى يا دونا ؟

تنهدت (ماريانا) ، وقالت :

— منحاول الإيقاع بالشيطان المصرى وزميلته فى معركة

ذكاء ، وليس معركة قوة يا (ماريو) .

ثم التفتت إلى شقيقها مستطردة ، فى هدوء عجيب :

— وستبدأ معركة الذكاء فى قسم شرطة (برشلونة) ،

حيث سيتوجّه بالتأكيد لإنقاذ زميله البدين .

وابتسمت فى سراسة ، وهى تردف فى وحشية :

— وسيكون هذا البدين هو الطعم ، الذى سيوقع

ب (أدهم صبرى) ، وزميلته الحسناء ، قاتلة شقيقتى .

«أريد مقابلة السنيور (قدري)، فلقد كُلفتُ الدفاع عنه» .
رفع مأمور قسم الشرطة عينيه في توثر ، يتأمل الرجل
الطويل القامة ، المفتول العضلات ، المشقوق القوام ، الذي
يقف أمامه ، مرتدياً حُلَّة سوداء أنيقة ، ورباط عنق قرمزيًا ،
وتبدو ملامحه الوسيمة الهادئة ، بمنظاره الطبي الأنيق ، والشعر
الأشيب ، الذي يصبح قوذيّة ، وشاربه المهندم ، وقفزت إلى
رأس المأمور صورة (أدهم صبرى) ، واستعادت أذناه تحذير
دونا (ماريانا) من أنه يجيد التكرُّ في براعة .. فتخس المأمور
مسدسه ، وهو يتظاهر بالاسترخاء في مقعده ، مغمفًا :

— ومن ذا الذي كُلفك الدفاع عنه ؟

أجابه الرجل في هدوء وورصانة :

— من حقّي الاحتفاظ بهذا سرًّا ، على ألا أبوح به إلا لموكل
فقط أيها المأمور .

ابتسم المأمور في سخرية ، وهو يقول :

— هكذا ؟

ثم اعتدل فجأة ، قائلاً في جذّة :

— ولكنك تتحدث الإسبانية في طلاقة عجيبة .

مطُّ الرجل شففيه ، وقال :

— بالطبع .. فأنا إسباني أبًا عن جد .

ثم نصب قامته في اعتداد ، وهو يقول :

— يبدو أنني لم أقدم نفسي .. أنا (ألبرتو بونتى) محام .

ولى حركة سريعة ، أخرج المأمور مسدسه ، وصوبه إلى
رأس الرجل ، وهو يقول في سخرية :

— أشك .. ما رأيك أن تتزع شاربك المستعار . وتوقف
هذه المهزلة .

تراجع الرجل في دهشة ، وهو يهتف في استكار :

— ماذا تفعل أيها المأمور ؟

تألقت عينا المأمور في جذل وظفر ، وهو يقول :

— إننى أفسد لحطتك أيها الحامى .. أو بمعنى أدق أيها
الشیطان (أدهم صبرى) .

ولى حركة سريعة ، جذب شارب الرجل ، وهو يجذب
زناد مسدسه .

٥ — الحرب خدعة ..

صرخة ألم سمرت أطراف المأمور ، وبهتت في جسده
برودة الثلج ، وجعلت عينيه تجحطان في ذهول ..
صرخة ألم انطلقت من بين شفتى الرجل ، حينما جذب
المأمور شاربه ..

ولقد كان الشارب حقيقياً ..
وتراجع المأمور في ارتباك ، وهو يغمغم في نوثر وخيرة :
— معذرة يا سيور .. لقد ظننت أن

قاطعته الحامي صارخاً في حنق :
— أقسم شرطة هذا أم مستشفى للأمراض العقلية ؟ .. ماذا
فعلت أيها المأمور ؟

لوح المأمور بذراعه ، مغمغماً :
— إننى أعتذر .. لقد كنت أتوقع خدعة ما .. إننى
أعتذر .

عقد الرجل حاجبيه في غضب ، وقال في صرامة :
— حسناً .. هل يمكننى مقابلة الرجل الذى سأدافع عنه ؟
هتف المأمور في انفعال :

— بكل تأكيد يا سيور .. بكل تأكيد .

ثم أسرع بقوده بنفسه إلى زنزانه (قدرى) ، وانصرف
في خطوات سريعة ، تاركاً (قدرى) يحذق في وجه الرجل
بدهشة وتساؤل ، قطعهما الحامي بقوله :
— لقد كلّفنى السيور (دالى جارو) الدفاع عنك يا سيور
(قدرى) .

عقد (قدرى) حاجبيه في دهشة ، وهو يبحث في ذهنه
عمن يدعى (دالى جارو) ، ثم لم يلبث أن تذكر أنه اسم رجل
تحرّ خاص ، انتحل (أدهم) شخصيته ، في مغامرة سابقة
جمعتهما معاً ، هو و (أدهم) (*) ، وفهم الرسالة في الحال ،
فهتف :

— وكيف حال (دالى) ؟
أوماً الحامي برأسه في رصانة ، وقال :
— في خير حال يا سيور (قدرى) .
ثم جلس ، وفتح حقيبتة ، وهو يقول في رزانة :
— والآن .. ما التهمة الموجهة إليك ؟

هتف (قدرى) في لهفة :

(*) راجع قصة (المال الملعون) .. المغامرة رقم (١٠) .

— دَعَكَ من هذا .. المهم أن تغبر السنيور (دالى) أننى
قد فهمت الرسالة ، وأننى أنتظر الخطوة القادمة .

حَدَّق الحامى فى وجهه بدهشة ، وهتف :

— ماذا تُغنى بهذه الكلمات الغامضة يا سنيور ؟

أطلق (قدرى) ضحكة مجلجلة ، أثارت دهشة الرجل ،

قبل أن يقول فى مرح :

— لا عليك أيها الحامى .. انقل الرسالة فحسب ، ومتحقق

نتيجة أعظم بكثير من مرافعة طويلة .

عقد الحامى حاجبيه فى غضب ، وقال :

— لن أقبل هذا النوع من القضايا بعد ذلك .

رَبَّت (قدرى) على كفه فى مرح ، وهو يقول :

— إنه قرار جيد يا صديقى .. المهم أن تبلغ هذه الرسالة

أولاً للسنيور (دالى) .

وخارج التزانة ، ابتسم المأمور ابتسامة تفيض شراسة

ودهاء ، وغمغم فى صوت شامت ، شديد الخفوت :

— اطمئن أيها البدين .. متصل رسالتك إلى (دالى)

هذا .. متصل إليه فى قبره .

★ ★ ★

وضعت دوناً (ماريانا) سماعة الهاتف فى انفعال ، وهتفت
فى أحد رجالها بعصية :

— أسرع إلى قسم الشرطة ، ولُحِذْ معك خمسة رجال

أشداء ، وسيكون عليكم تتبع الحامى ، حينما يغادر القسم ،

ومراقبته فى اهتمام ، ومعرفة من هو (دالى جارو) هذا ، الذى

كلّفه الدفاع عن البدين .

غمغم الرجل فى انفعال مماثل :

— وماذا لو أن (دالى جارو) هو نفسه (أدهم صبرى) ؟

صاحت فى غضب :

— هل تسألنى أيها الفبى ؟ .. فى هذه الحالة سيكون عليكم

قتله بلا رحمة ..

وأردفت فى وحشية :

— بلا رحمة !!

★ ★ ★

انطلق الحامى (ألبرتو بونتى) بسيارته ، عائداً إلى مكتبه

فى قلب (برشلونة) ، وهو يغمغم فى سخط :

— يالها من قضية سخيفة !! الرجل لم توجه إليه تهمة معينة ،

وهو يتحدث بخزعבלات غير مفهومة .. لن أتناول مثل هذه

القضايا بعد الآن .

وتوقف بسيارته أمام البناية الضخمة ، التي تحوى مكبه ،
وهبط منها في خنق واضح ، دون أن ينتبه إلى السيارة الزرقاء ،
التي توقفت خلفه مباشرة ، والتي يجلس فيها ستة رجال ، قال
أحدهم في اهتمام :

— إنه لا يبدو لي شيئا بذلك الشيطان المصرى .

عقد آخر حاجيه ، وقال في توثر :

— لا تنس أن ذلك الشيطان خبير في تبديل ملامحه ، ويمكنه

أن يتحلل شخصية محام إسباني في بساطة .

ثم فتح باب السيارة المجاور له ، وهو يستطرد :

— اتبعني يا (روبرتو) .. ستتعرفى عن ذلك الخامى ،

وليلى الآخرون في السيارة ، استعدادا لحدوث أية طوارئ .

تبعه (روبرتو) في اهتمام وصرعة ، وسرعان ما استقلا

المصعد ممّا إلى الطابق الخامس ، حيث مكتب (ألبرتو) ،

ودخلا إلى حيث تجلس سكرتيرته ، وقال الأول في صرامة :

— أخبرى السنيور (ألبرتو) أن (فريدريك) يريد

مقابله .

سألته السكرتيرة في لهجة روتينية :

— (فريدريك) من يا سنيور ؟ .. ألدبك موعد سابق ؟ أم

وبترت السكرتيرة عبارتها ، وهي ترتجف كريشة في مهب
الريح ، حينما رأت فوهة مدس مصوبة إلى رأسها ، وسمعت
(فريدريك) يقول في سخرية :

— هل تكفى هذه البطاقة ؟

كادت السكرتيرة تسقط فاقدة الوعي ، وهي تغمغم في

صوت مرتجف ، يقطر بالرعب والفرع :

— لا توجد أية أموال هنا يا سنيور .. أقسم لك .. إننا

نودع أموالنا

جذبها (روبرتو) فجأة من شعرها في قسوة ، ووضع كفه

عل فمها لمنعها من الصراخ ، ثم دفعها أمامه إلى حجرة

(ألبرتو) ، التي دفع (فريدريك) بابها في قوة ، وصوب

مدسه إلى (ألبرتو) ، الذى اتسعت عيناه في ذعر ، وقفز

من خلف مكبه ، وهو يقول في فرع :

— ماذا يحدث هنا ؟ .. من أنتم ؟

صاح (فريدريك) في خشونة :

— لا داعى للتظاهر .. لقد انتهت التمثيلية أيا الشيطان .

كاد (ألبرتو) يركى ، وهو يتف في رعب :

— أية تمثيلية ؟ .. وأى شيطان ؟

جذب (فريدريك) إبرة مسدسه ، وهو يقول في سخرية
شريرة :

— انتهت اللعبة أيها الشيطان .. لن تنقذك براعتك في التمثيل
الهزلى يا (أدهم صبرى) .

لؤح (ألبرتو) بذراعيه فى رُعب ، وهو يصرخ :
— (أدهم صبرى) ؟!.. إننى لا أعرف هذا الاسم
ياسنيور .. أقسم لك .. لا أعرف هذا الاسم .

وفجأة .. تردّد فى المكان صوت ساخر ، يقول فى هدوء :
— إنه أنا يا سنيور (ألبرتو) .. أنا (أدهم صبرى) .

★ ★ ★

كانت عبارة (أدهم) الهادئة الساخرة ، أشبه بطلق نارى
دوى فى المكان .. بالنسبة لـ (فريدريك) و (روبرتو) ، فقد
ارتجفا فى قوة ، وكأنما أصابهما تيار كهربى قوى ، وتراخت
ذراع (روبرتو) ، التى تمسك بالسكرتيرة ، والتفت هو
و (فريدريك) فى سرعة نحو مصدر الصوت ، وأسلحتهما
متأهبّة للانطلاق ..

ولكن التفاتة (روبرتو) لم تكتمل .
لقد ارتطم فى استدارته بقبضة كالقنبلة ، تفجّرت فى فكّه ،

وألقت به إلى الوراء فى قوة ، ليسقط وسط حجرة مكتب
(ألبرتو) ، الذى تراجع فى دُعر ، فى حين أطلقت سكرتيرته
صرخة مدوّية ، فى نفس اللحظة التى قبضت فيها قبضة
(أدهم) على معصم (فريدريك) ، ليرفع فؤوه مسدسه إلى
أعلى ، وغاصت قبضته الثانية فى معدة هذا الأخير ، الذى تأوّه
فى ألم رهيب ، وانحنى إلى الأمام ، لتجبره قبضة (أدهم) الثانية
على الانتصاب مرّة أخرى ، وإن كانت ملامحه فى هذه المرّة
تختلف ، فقد تحوّل أنفه إلى مزيج من الدم واللحم المقرّى ،
وجحظت عيناه ، ثم سقط كالحجر ..

وفى هدوء .. انحنى (أدهم) ، والتقط مسدّس
(فريدريك) ، وأعاد إبرته إلى الوضع الآمن ، وهو يتسم ،
قاللاً فى بساطة :

— مساكين رجال دونا (ماريانا) هؤلاء .. إنهم لا يهتمّون
بتسمية قدراتهم العضلية أبداً ، اكتفاءً بأسلحتهم النارية
السخيفة ..

انزعجت العبارة (ألبرتو) من ذهوله ، فهتف فى دُعر :
— رجال دونا (ماريانا) .. هل تقصد يا سنيور (دالى)
أن هؤلاء الرجال هم ؟

وبتر عبارته فجأة ، وهو يحذق في وجه (أدهم) ، الذي ظل يتسم في هدوء ، و (منى) ، التي أولت السكرتيرة اهتمامها البالغ ، محاولة إزالة بعض توثرها ورعبها ، وعاد يتف في حدة :

— ولكن (دالي جارو) هذا ليس اسمك بالتأكيد .. لقد خاطبك هذان الرجلان باسم

قاطعته (أدهم) في هدوء :

— دغك من الأسماء يا سنيور (ألبرتو) ، فهي لا تعني شيئاً في كثير من الأحوال .

حذق (ألبرتو) في وجهه لحظة أخرى في ذهول ، ثم هتف في خنق :

— ولكنني لا أحب أن أتورط في مشكلة مع دونا (ماريانا) ورجالها .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— لقد انغمست في هذه المشكلة حتى النخاع يا عزيزي ، ولم يعد هناك مجال للتراجع .

شحب وجه (ألبرتو) ، وسقط فوق مقعده ، وهو يغمغم في رعب :

— يا إلهي !! إنها نهايتي !! نهايتي ..

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

— لو سألتني رأيي ، فأنا أنصحك بالسفر إلى منطقة بعيدة ، أنت وسكرتيرتك يا سنيور (ألبرتو) ، فأنتما تحتاجان إلى إجازة طويلة ، بعد كل هذا القدر من التوثر .

هتف (ألبرتو) في عصبية :

— ومكتبي !! وعمل !!

ابتسمت (منى) ، وهي تبادل نظرة غامضة مع (أدهم) ، الذي التقط حقية صغيرة ، لم يلتفت إليها (ألبرتو) أو سكرتيرته من قبل ، وقال (أدهم) في هدوء ، وهو يشير إلى الحقية الصغيرة :

— اطمئن يا سنيور (ألبرتو) .. سيسير كل شيء على ما يرام ، بفضل هذه الحقية ، التي ابتعتها مع محتوياتها بمبلغ كبير .

تطلع (ألبرتو) وسكرتيرته إلى الحقية في دهشة وخيرة ، ثم هتف (ألبرتو) :

— ماذا تعني ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :

— أغنى أنى سأواصل لعبة الخداع ، فى هذه الحرب
الشعواء يا سنيور (ألبرتو) ، فالتصر فى هذه المعركة سيكون
لصاحب أبرع خدعة .

★ ★ ★



٦ — وانقلبت الأمور ..

استعاد (فريدريك) وعيه فى بطاء ، وتطلع فى دهشة إلى
(ألبرتو) ، الذى يعمل جاهداً لإنعاشه ، والذى هتف فى مزيج
من التملق والخوف :

— حمداً لله .. لقد استعدت وعيك يا سنيور (فريدريك) ،
لقد خشيت أن تطول غيوبتك و

قاطعه (فريدريك) ، وهو يزيحه بعيداً فى خشونة :
— أين ذهب ذلك الشيطان المصرى ؟

لوح (ألبرتو) بدراعيه ، وهو يقول فى دُعر :

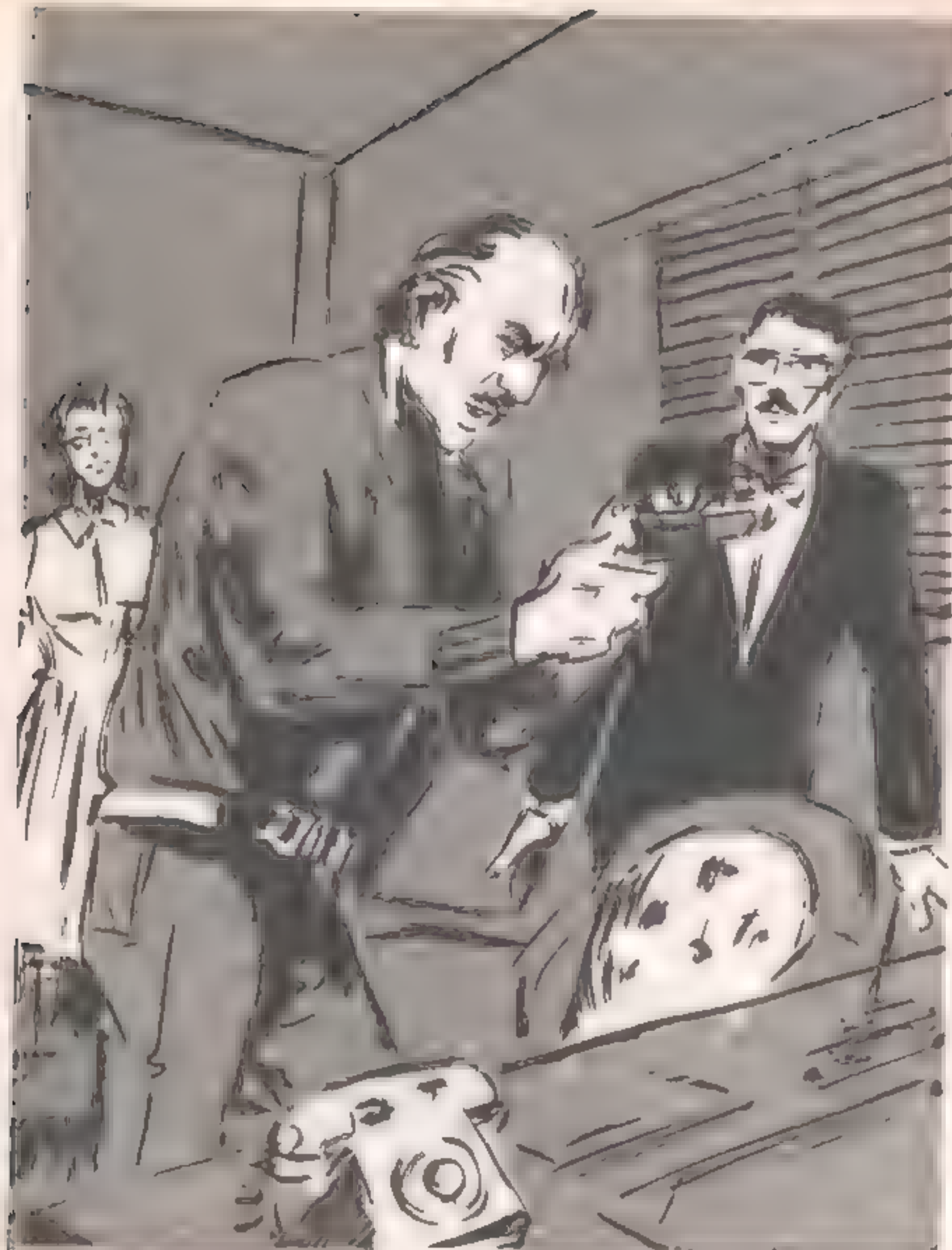
— لقد رحل يا سنيور (فريدريك) .. رحل .. لقد
رفضت التعاون معه .

غمغم (فريدريك) ، وهو يقاوم لاستعادة صفاء ذهنه
كاملاً :

— التعاون معه ؟ .. ماذا تعنى يا رجل ؟

تلقت (ألبرتو) حوله فى دُعر ، ثم مال نحو (فريدريك) ،
وهمس فى توكير :

— لقد أراد منى أن أعمل لحسابه ، وأحاول خداع دوننا
(ماريانا) .



وتضاعفت دهشته حينما التقطه ، ووجده محشواً بالدخيرة ..

ثم عاد يلوح بذراعيه في قوة ، وهو يهتف :
— ولكنى رفضت .. رفضت يا سنور (فريدريك) ..
أقسم لك .

تطلع (فريدريك) في دهشة إلى مسدسه ، الموضوع في
عناية فوق مكتب (ألبرتو) ، وتضاعفت دهشته حينما
التقطه ، ووجده محشواً بالدخيرة ، ولكنه ألقى دهشته خلف
ظهره ، ودس المسدس في جيب سترته ، وهو يقول في
خشونة :

— ولماذا رفضت يا رجل ؟
ارتبك (ألبرتو) ، وهو يقول في تلثم :
— لا يمكنى أن أخون دوننا .. أليس كذلك ؟
مطأ (فريدريك) شففيه في امتعاض ، وغمغم في برود ،
وهو يلقي نظرة على (روبرتو) ، الذى تحاول سكرتيرة
(ألبرتو) إنعاشه في اهتمام :

— ربما كان لدونا (ماريانا) رأى آخر يا رجل .
ثم التقط سماعة الهاتف ، وهو يستطرد :
— ورأيتها هو الذى سيحسم المعركة أيها المحامى .

أنصت (ماريانا) في تولثر وانتباه إلى حديث (فريدريك)
الهاتفى ، وعقدت حاجبها وهى تفكر فى عمق ، قبل أن تقول
فى انفعال :

— اطلب من هذا المحامى أن يعاود اتصاله بذلك الشيطان ،
ويؤكد له استعدادة للتعاون معه .

جاءها صوت (فريدريك) من الجانب الآخر ، يقول فى
اهتمام :

— وماذا عن البدين ؟
نحيم السكون لحظة على أسلاك الهاتف ، قبل أن تحب
(ماريانا) :

— فليعمل المحامى جاهدا على إطلاق سراحه ، وسأطلب
من المأمور معاونته على ذلك .

غمغم (فريدريك) فى دهشة :
— يطلق سراحه ؟ .. كيف يا دونا ؟

صاحت فى غضب :
— لا تناقشنى أيها الغبى .. نفذ أوامرى فحسب .

ثم أردفت فى انفعال :
— هذا البدين سيكون الطعم ، الذى نصطاد به (أدهم

صبرى) .

هتف (فريدريك) فى حماس :

— لقد فهمت يا دونا .. فهمت اللعبة .

ولم يكذب يضع سماعة الهاتف ، حتى تألفت عينا (ماريانا)
فى شراسة ، وهى تغمغم فى كراهية :

— سأقلب اللعبة كلها على رأسك ورأس زميلتك القاتلة
يا (أدهم صبرى) .

غبر (ألبرتو) باب حجرة المأمور ، والقلق يرتسم فى كل
خلجة من خلجاته ، ولم يكذب المأمور بلمحه ، حتى هب لملاقاته
فى ترحاب ، وهو يتف :

— مرحبا يا سنيور (ألبرتو) ، مرحبا .. هل أتيت بشأن
المصرى البدين ؟

تنحنح (ألبرتو) فى ارباك ، واعتدل وهو يقول فى
روئية :

— لقد درست الأمر يا سيدي المأمور ، ووجدت أنكم
تحفظون بهذا الرجل دون جريرة ، وطبقا للقانون رقم
قاطعه المأمور ضاحكا ، وهو يربت على كفه فى حماس :
— لا داعى لكل هذه المحاضرة يا صديقى .

ثم مال على أذنه مستطرذاً في مرج هامس :

— لقد أخبرتنى دوناً (ماريانا) بكل شيء .

وعاد صوته يعلو ، وهو يردف في اهتمام :

— سنطلق سراحه ياسنيور (ألبرتو) ، فنحن لانبغ انتهاك

القانون ، الذي نقوم على حمايته .

وقاده في سرعة إلى زنزانة (قدرى) ، وأشار إلى هذا

الأخير ، وهو يقول متظاهراً بالجدية والالتزام :

— ها هو ذا ياسنيور (ألبرتو) .. إننا لا نملك إلا إطلاق

سراحه .

أشار (ألبرتو) إلى (قدرى) في هدوء ، وهو يقول في

رصانة :

— هل سمعت ؟ .. لقد ربحت قضيتك ؟ هيا بنا .

تبعه (قدرى) إلى الخارج في هدوء ، وتوقف لحظة أمام

المأمور ، وقال له في سخرية :

— لقد أسعدتنى إقامتى القصيرة بينكم أيها المأمور ، ولكن

طعامكم تنقصه الدسامة .

غمغم المأمور في صرامة :

— سنحضر لك الطعام من مطعم (ماركيز) في المرة القادمة .

فهقه (قدرى) ضاحكاً ، وهو يقول :

— لن تكون هناك مرة ثانية — بإذن الله — أيها المأمور ،

فأنا عائد إلى بلادى .

وعاد يفهقه في مرج ، وهو يتبع الخامى إلى سيارته ، وحشر

جسده البدين في مقعد السيارة الخلفى ، وهو يقول لسكرتيرة

(ألبرتو) ، التى تجلس على المقعد الأمامى ، المجاور لمقعد

السائق :

— أخبرينى يا آنسى .. أو ياسنيوريتا .. أكل الإسبانيات

حساوات مثلك ؟

ابتسمت السكرتيرة ، وأشاحت بوجهها دون أن تتكلم ،

في حين احتل (ألبرتو) مقعد السائق ، وهو يقول في هدوء :

— حاول أن تحسن لغتك الإسبانية أولاً ياسنيور (قدرى) ،

قبل أن تحاول مغازلة الإسبانيات .

ثم انطلق بالسيارة ، وهو يستطرد في برود :

— خاصة وأنت ستلتقى بإسبانية شرمة بعد لحظات .

وعقد (قدرى) حاجبيه ، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة ..

وضع (فريدريك) سماعة الهاتف ، والتفت إلى (ماريانا) ،

قائلاً :

— لقد انصرف المحامي ، ومعه البدين يا دونا .
حاولت أن تخفي توكرها مع أنفاس السيجارة الملونة ، التي
تدخنها في شراة ، وهي تقول :
— هل يراقبهم رجالنا جيّدا ؟
أوماً (فريدريك) برأسه إيجاباً ، وقال :
— نعم يا دونا ، على الرغم من أننا نعرف مكان اللقاء الذي
اتفق عليه (ألبرتو) مع ذلك الشيطان المصري .
ارتجفت أصابعها في انفعال ، وهي تقول :
— منسبهم إلى هناك ، فأنا أحب أن أكون في استقبال
(أدهم) وزميلته ، حينما يصلان لتسلم زميلهما .
رفع (ماريو) فؤمة مسدسه أمام وجهه ، وهو يقول في
حنق :
— اتركي لي (أدهم صبرى) يا دونا .. إن بيننا لآراً ،
أحب أن أطفئه بالدم .

ابتسمت في توكر ، وقالت :
— لا بأس يا (ماريو) .. على أن تترك لي الفتاة .
واكتسبت لهجتها وحشية غريبة ، وهي تحرك أصابعها في
الهواء كنمرة شرمسة ، وتستطرد :

— سأقتلع عينيها بأظفاري ، قبل أن أطلق النار على رأسها .
ارتفع في تلك اللحظة رنين الهاتف ، فأصرع (فريدريك)
بلفظه ، وهو يقول في اهتمام :
— من المتحدث ؟
وامتقع وجهه في شدة ، وهو يستمع إلى الطرف الآخر ،
ثم التفت إلى (ماريانا) ، وقال في صوت مخفق :
— إنه (روبرتو) .. يقول إن رجال الأمن العام قد ألقوا
القبض الآن على مأمور القسم .
هفت (ماريانا) في دهشة :
— ماذا ؟ ..

ثم عفت حاجبها ، وهي تستطرد في غضب وشراة :
— أقسم إن (أدهم صبرى) وراء ذلك ، ولكنني سأقتله
الليلة .. لن أغمض جفني إلا على رائحة الدّم .. دم (أدهم)
و (منى) .

باسم

www.dvd4arab.com

٧ — لقاء في الجبال ..

ظلّ (قدرى) صامتا ، عاقدا حاجيه وساعديه ، طوال الطريق الذى قطعه سيارة (ألبرتو) ، من قسم الشرطة ، وحتى منطقة نائية منعزلة ، عند سفح جبال (البرانس) ، حيث أوقف (ألبرتو) السيارة ، وجلس صامتا ، هادئا ، وشاركه سكرتيرته صمته وهدوءه ، حتى هتف (قدرى) فى خنق :

— هل تنتظر هكذا للأبد ؟

أجابه (ألبرتو) دون أن يلتفت إليه :

— حتى تصل دونا (ماريانا) .

اتسمت عينا (قدرى) ، وهو يهتف فى دهشة وغضب :

— دونا (ماريانا) ؟!.. هل تحملنى إليها ؟

أجابه (ألبرتو) فى صرامة :

— اصمت وانتظر :

ولكن (قدرى) دفع باب السيارة فى جدّة ، وهو يهتف :

— هيا يا أيا الخائن .

وعلى الرغم من جسده البالغ البدانة ، قفز خارج السيارة

فى رشاقة ، وانطلق يمدو مبتعدا ، وقفز خلفه (ألبرتو) ، وهو يهتف فى دُعر :

— لا .. ستقتلنى (دونا) لو أنك هربت .

وتعلّق بهنق (قدرى) ، الذى ضربه فى معدته بقوة ، وهو يقول :

— وهل ستجعلنى كبش الفداء أيا الحقير ؟

مقط (ألبرتو) أرضا ، وهو يتأوّه ، فى حين واصل (قدرى) غلّوه ، وهو يهتف فى خنق :

— ألم يجد (أدهم) سوى هذا الخائن و ؟

وبتر عبارته فجأة ، وتصلّبت أطرافه ، حينما رأى خمسة مدافع رشاشة مصوّبة إلى رأسه ، وسمع صوت دونا (ماريانا) تقول فى سخرية :

— إلى أين أيا البدين ؟.. ألن تنتظر زميليك ؟

شعر (قدرى) بمزيج من الخنق والقهر ، وهو يغتم فى غضب :

— القضاء على (أدهم) لا يعم بهذا الأسلوب القدر .

عقد (ماريو) حاجيه فى غضب ، وصاح :

— هل أطلق النار عليه يا دونا ؟

أشارت إليه بذراعها أن يهدأ ، وقالت في سخرية :
— ليس بعد يا (ماريو) ، سنتظر الشيطان وزميلته
القاتلة ، ثم نفذ حكم الإعدام في ثلاثهم .
أسرع إليها (ألبرتو) ، وهو يلوح بذراعيه ، صائحاً في
توتر :

— لقد حاولت أن أمنعه يا دونا .. أقسم لك .
ابتسمت (ماريانا) في سخرية ، وقالت :
— أعلم ذلك يا (ألبرتو) .. لقد نقل إلينا جهاز التصنت
الصغير ، الذي وضعناه في سيارتك كل شيء ، وهذا ما جعلنا
نسرع لمنعه من الفرار .

اتسعت عينا (ألبرتو) في دهشة ، وهو يهتف :
— جهاز تصنت ؟! .. ألا تثقين لي يا دونا ؟
لوححت بذراعها في لامبالاة ، وهي تقول :
— إنني لا أثق في أحد يا سيور (ألبرتو) .
ظهر الغضب على وجه (ألبرتو) ، وقال وهو يثيح
بوجهه :

— وماذا لو أن (أدهم صبرى) هذا كان يراقبنا الآن ،
وعلم بالكمين الذي تعدونه له ؟



وقفز خلفه (ألبرتو) وهو يهتف في دُعر :

— لا .. سقتلني (دونا) لو أنك هربت ..

ابتسم (ماريو) في سخرية ، وقال :

— اطمئن أيها المحامي .. إننا نراقب الطريق جيّداً ،
وسيكون على (أدهم صبرى) هذا أن يتحوّل إلى ذبابة ، حتى
يصل إلى هنا ، دون أن تشعر به .

وابتسمت (ماريانا) في ثقة ، وهي تقول :

— لن يربح (أدهم) هذه الجولة يا سنيور (ألبرتو) ..
لأنها هذه المرأة معركة ذكاء ، وليست معركة عضلات ؛ لذا
فلن يربحها (أدهم صبرى) .

هزّ (ألبرتو) كتفيه ، وقال :

— عجباً !.. لقد بدا لي شديد الذكاء .

عقدت (ماريانا) حاجبها في غضب ، وقالت في حدة :

— ومن أدراك ؟ .. ربما كنت أنت شديد الغباء .

مطّ (ألبرتو) شفّتيه في خنق ، وقال :

— لم يعاملني أحد بهذا الأسلوب قط يا (دونا).

قالت في صرامة :

— إنك لن تفرض على أسلوباً للتعامل يا (ألبرتو) .

ظهر الدعر في عينيه ، وهو يغمغم :

— لا بأس يا دونا .. لا بأس .

ثم أشاح بوجهه ، قائلاً :

— سنتظر معاً مقدم (أدهم صبرى) هذا ، وحينما
تقتلني ، اسمح لي بالانصراف يا دونا .

تألّقت عيناها ، وهي تقول في شراسة :

— حينما أروى يديّ بدماء (أدهم) وزميلته ، سأمنحك
أى شيء تطلبه يا (ألبرتو) .. سأمنح أى مخلوق ما يشتهي .
وازداد تألق عينيها ، وهي تستطرد في شهوة وحشية :

— سيكون عيد دونا (ماريانا) الأكبر يا (ألبرتو) .

★ ★ ★

مضى الوقت بطيئاً لقيلاً ، وارتفعت حدة التوتر عند سفح
الجبل ، حيث تنتظر دونا (ماريانا) وصول (أدهم) و (منى) ،
وبدا (ماريو) أكثر الجميع توتراً وقلقاً ، وهو يغمغم :

— أخشى أن يكون هذا الشيطان المصرى قد كشف اللعبة

يا دونا .

هتفت في حدة :

— مستحيل يا (ماريو) .. مستحيل .

ثم تألّقت عيناها في وحشية ، وهي تلتفت إلى (ألبرتو) ،
مستطردة :

— يالك من غبي !! إني أنا (أدهم صبرى) أيها الأوغاد.
ولقد كانت المفاجأة أقوى مما يمكنهم تحملها ، فلقد انطلقت
تلك الضحكة الساخرة ، وخرجت العبارة المتهكمة من بين
شفتي الرجل الذى يقف وسطهم ..
من بين شفتي (ألبرتو بونتي) .



— إلا إذا
ارتجف (ألبرتو) فى وضوح ، وهو يتف فى دُعر :
— إلا إذا ماذا يا دونا ؟
صاحت فى غضب شيطاني :
— إلا إذا كنت قد خنتا يا (ألبرتو) .
صاح (ألبرتو) فى رُعب ، وهو يلوح بذراعيه فى جدّة :
— كُلا يا دونا .. أقسم لك .. أقسم لك .
وألقى جسده بين رجال دونا (ماريانا) الخمسة ، وهو
يواصل فى دُعر واضح :
— الرحمة يا رجال .. الرحمة .
انتزع (ماريو) مسدسه ، وألقاه برأسه ، وهو يقول فى
صرامة :
— أين الحقيقة يا (ألبرتو) ؟ .. اعترف أو أفجر رأسك .
وفجأة .. تسمّرت دونا (ماريانا) ، وتسمّر (ماريو) ،
وتصلّبت أطراف رجالهما الخمسة ، فقد انطلقت ضحكة
ساخرة ، ارتجفت لها صخور الجبل ، وأعقبا صوت ساخر
مخيف ، يقول :

تسمرت عيون الجميع فوق (ألبرتو) ، وسقطت فك (ماريو) السفلى في ذهول ، وفجأة تفجّر نشاط عجيب في جسد (ألبرتو) ، وتحول فجأة إلى عاصفة هوجاء ، انقضت على فك (ماريو) ، وحولته إلى حطام ، ثم هوت على وجه أحد الرجال الخمسة ، وانتزعت أنفه . وحطمت فك الثاني ، وغاصت في معدة الثالث ، وكسرت عنق الرابع ، وشجعت رأس الخامس ..

وتراجعت دون (ماريانا) ، في مزيج من الرعب والذهول ، أمام المفاجأة ، وهي تغمغم في ألم رهيب :
— مستحيل ...!! مستحيل !!.

ثم تحول رعبها وذهولها إلى بركان من الغضب ، جعلها تنتزع سدسها الصغير ، وتصوبه إلى رأس (أدهم) ، وهي تقول في صوت مرتجف ، من شدة الغضب والانفعال :
— سأقتلك أيها الشيطان المصرى .. سأقتلك .

ودوى طلق نارى ، وطار سدس (ماريانا) ، التي صرخت في ألم ، والتفتت في غضب ودهشة إلى مصدر الطلق النارى ، وكادت تبكى فهراً حينما رأت سكرتيرة (ألبرتو)

تصوب إليها سدساً ، وتستد في هدوء إلى مقدمة سيارة هذا الأخير ، وهي تقول في سخرية ، مئزت فيها (ماريانا) صوت (منى) :

— رؤيدك يا أفعى (برشلونة) .. لقد نسيتى .

انهارت (ماريانا) وهي تبكى في حرارة ، وتتنحب في قوة ، في حين اقترب منها (أدهم) في هدوء ، ونزع ملامحه التكرية ، وهو يقول في سخرية :

— أمازلت تصرين على أن (أدهم صبرى) لا يتصر أبداً في حرب الذكاء ؟

رفعت إليه عينيها الدامعتين ، المنهارتين ، وهي تغمغم :
— كيف فعلت ذلك ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

— لقد كانت لعبة طريفة يا عزيزى (ماريانا) .

ثم اعتدل ، مستطرداً :

— لقد بدأت اللعبة باختيارى لـ (ألبرتو بونتى) بالذات ،

الذى بدت مقاييسه الجسمانية أقرب ما يكون إلى ، وأرسلته للدفاع عن (قدرى) ، وأنا أعلم أن الأمور ميشك فيه فور رؤيته ، وسبحاول إثبات أنه متكر ، ولكنه سيفشل ، لأن

(ألبرتو) إسباني حقيقي ، وهنا سيصبح (ألبرتو) محل ثقة ،
وإمعانا في تثبيت هذه الثقة ، هاجمت (فريدريك) و (روبرتو)
أمام (ألبرتو) ، مما جعلكم تثقون تمامًا في أن (أدهم)
و (ألبرتو) شخصان مختلفان ، وهنا جاء دور الجزء الثاني من
الخطبة : ..

فهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول في مزح :
— لقد كانت خطة رائعة ، حتى أنها خدعتنى أنا أيضًا

يا صديقى : ..
ابتسم (أدهم) ، وعاد يكمل في هدوء :
— لقد ابتعدت (ألبرتو) وسكرتيرته ، بعد أن فقد
(فريدريك) و (روبرتو) وعيها مباشرة ، ولم يكن ذلك
عسيرًا ، فلقد كانا يرتجفان رعبًا ، وحينما استعاد (فريدريك)
وعيه ، استقبلتنى عيناه ، وأنا متكرّر في هيئة (ألبرتو) ،
و (منى) متكررة في هيئة سكرتيرته ، وكان من المستحيل في
لحظة استعادته لوعيه أن ينتبه إلى أننى لست (ألبرتو)
الحقيقى .. وبخدعة ماهرة ، جعلته يتصل بك يا (ماريانا) ،
وجعلتك تقترحين إعداد الفخ لـ (أدهم صبرى) ، دون أن
يغامرك الشك لحظة في أننى أنا (أدهم صبرى) نفسه :

وضحك في سخرية ، وهو يقول :
— ولقد كنت أعلم بأمر جهاز التصنت ، الذى دسّه
رجالك في سيارة (ألبرتو) ؛ لذا فقد تعاملت مع (قدرى)
على أننى (ألبرتو) ، ولم أحاول كشف الحقيقة له ، وعاونتى
محاولته للفرار على تأكيد كونى (ألبرتو) .. وأنت تعلمين
الباقى يا عزيزتى (ماريانا) :

انهمرت دموعها في ألم ، وهى تصرخ :
— أنت قذر .. خائن .. حقير ..

رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :
— قذر وخائن وحقير؟! .. ولكنى كنت أدافع عن
حياتى ، وحياة رفيقى ، وهذه الصفات تنطبق على المهاجم ،
لا على المهاجم .
ارتفع في تلك اللحظة صوت صفير قوى ، فهتفت
(منى) :

— ما هذا ؟

اقترب (أدهم) من حافة المكان ، وتطلّع إلى الميناء ،
وغمغم في هدوء :
— إنها (عروس المتوسط) تطلع من (برشلونة) ، في
طريقها إلى (نابولى) .

تقدم إليه (قدرى) و (منى) ، وغمغم (قدرى) :
— اعتقد أنه سيتحتم علينا العودة بالطائرة .

قلت (منى) شفتها ، وهى تقول :
— سأفضل ذلك يا (قدرى) ، فلقد كرهت هذه
السفينة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
— هل تعلمون أن صديقنا (تيدى فولسونج) سيحرق على
ظهر سفينته ؟

انهمكوا فى حديث حول (فولسونج) وسفينته ، ولم
يلفت أحدهم إلى (ماريانا) ، التى تسلت إلى سيارة
(البرنو) ، وهى تقول فى غضب :

— ابقوا هكذا عند الحافة يا عمالقة الخبايا المصرية ،
فهذا يجعل قتلكم أكثر سهولة .

ثم أدارت محرك السيارة ، وانطلقت بها ، وهى تصرخ فى
جنون :

— ستربح دونا (ماريانا) هذه المعركة أيا الشياطين ..
ستربح المعركة .

★ ★ ★

استدار أبطالنا الثلاثة إلى السيارة التى تقودها (ماريانا) ،
والتي تندفع نحوهم فى قوة وسرعة ، وتحرك الثلاثة فى إتقان
وبراعة ، فقفزت (منى) يسارًا ، وقفز (قدرى) يمينًا ، فى
حين قفز (أدهم) فوق مقدمة السيارة ، التى انحرفت بها
(ماريانا) ، قبل أن تبلغ حافة المنطقة ، وصرخت فى جنون :
— ابتعد أيا الشيطان .. ابتعد عن طريقى .

وزادت من سرعة السيارة ، وهى تنطلق بها خلف
(منى) ، متجاهلة (أدهم) المتعلق بمقدمة السيارة ، ولكن
(أدهم) دار بجسده فى مهارة ورشاقة ، وفوجئت به
(ماريانا) فوق المقعد المجاور لها ، فصرخت فى ثورة وغضب :
— كلاً .. كلاً .. ابتعد .. اتركى أقلها .

ولكن (أدهم) تثبت بعجلة القيادة ، وهو يقول فى
سخرية :

— ليس الآن يا عزيزتى (ماريانا) .. ليس الآن .
حاولت (ماريانا) أن تقاومه فى شراسة ، ولكن دفعها
بعيدًا عن عجلة القيادة ، وهو يقول فى تهكم :

— هل تخلّيت عن مبادئك يا عزيزتى الأفعى ؟ .. إنه قتال
عضلى ، ولن يمكنك هزيمتى فيه .

٩ — رأس الأفعى ..

كانت النهاية بلا ريب ، فقد عبر إطارا السيارة الأماميين حافة الهاوية ، والسيارة نفسها تنطلق بسرعة رهية ، وقائدتها أفعى كاد الجنون يذهب بصوابها ..

ولكن (أدهم صبرى) كان داخل السيارة أيضا .. لقد اندفع (أدهم) يسارًا ، فأحاط (ماريانا) بذراعيه ، ودفع الباب المجاور لها ، وقفز معها خارج السيارة ، التي سقطت في أعماق الهوة السحيقة ، في حين تعلق هو بصخرة ناتئة ، وشعر بثقل جسده وجسد (ماريانا) ، وهو يتشبث بالصخرة يُمناه ، ويجذب جسد (ماريانا) يُسراه ، وهي تقاومه في ثورة ، وتضرب صدره بقبضتها ، صارخة :
— أى شيطان أنت ؟ .. أى شيطان أنت ؟

ومستعينا بكل قواه ، رفع (أدهم) جسده بذراع واحدة إلى أعلى الحافة ، وجذب إليه (ماريانا) ، وألقاها بين ذراعي (قدرى) ، وأخذ يلهث في قوة ، في حين هفت (ماريانا) وهي تتحب ، وتحاول التخلص من ذراعي (قدرى) :
— لماذا أنقذتنى أيها الشيطان ؟ .. لقد كنت أرغب في

الموت .

ولكن عينا (ماريانا) تألقنا فجأة في وحشية ، وضغطت دؤاسة الوقود بكل ماتملك من قوة ، وهي تصرخ في جنون :
— حسنا .. مادمت ترغب في ذلك ، سنلقى حطنا معًا أيها الشيطان ..

وأطلقت ضحكة شيطانية ، وهي تردف في جنون :
— سموت معًا يا شيطان مصر .

والتفت (أدهم) إلى الأمام ، ورأى السيارة تتلفز فوق حافة المنطقة ، نحو هاوية يبلغ عمقها نصف كيلومتر ، وتنتشر الصخور الحادة قاعها ..
لقد كانت النهاية ..





وقفز معها خارج السيارة ، التي سقطت في أعماق
الهوة السحيقة ، في حين تعلق هو بصخرة ..

قال (أدهم) في هدوء ، وهو ينفخ الغبار عن حُلته :
— ستموتين يا (ماريانا) ، ولكن بحكم قضائي ، فلقد
كان شقيقك الغني يحفظ في طيات ثيابه بأوراق تدينه
وتدينك ، وثبت تورطكما في عمليات قتل وعهريب مخدرات ،
واختطاف ، كما ثبت تورط مأمور القسم أيضا ، ولقد أرسلت
هذه الأوراق إلى النائب العام ، ولاريب أنه سيتخذ الإجراءات
المناسبة ، لإلقاء القبض على جميع المتورطين .

استمت عينا (ماريانا) في ذعر ، وهي تقول :
— إذن فأنت الذي تسيئت في إلقاء القبض على المأمور .
هز (أدهم) كفيه في استهتار ، وقال :
— إنها البداية فحسب يا أفعى (برشلونة) ، فالجرائم ،
التي تثبتها الأوراق ، تكفي للحكم بإعدامك ، وإعدام
شقيقك الغني .

انهارت (ماريانا) ، وأخذت تبكي في حرارة ، وهي
تقول :

— لماذا فعلت ذلك ؟.. لماذا ؟

بدا صوت (أدهم) صارمًا قاسيًا ، وهو يقول :
— لقد كنت أَدافع عن نفسي ، وعن رفاقي فحسب

يا (ماريانا) .. أنت التي بدأت القتال والصراع ، وعليك
تحمل النتائج .

وغمغمت (منى) في صرامة مماثلة :

— هذا جزاء من يتجذى (أدهم صبرى) .

دفعت (ماريانا) ذراعى (قدرى) ، وهى تهتف في

الهمس :

— دغنى .. دغنى .

شعر (قدرى) نحوها ببعض الشفقة ، فتركها تفلت من
بين ذراعيه ، ولكنه لم يكد يفعل حتى اندفعت (ماريانا) نحو
حافة الهاوية ، ولحى للجميع أنها ستلقى بجسدها من عل ،
ولكنها انحنت في سرعة ، والتقطت مسدس (ماريو) الملقى
على حافة الهاوية ، واستدارت في سرعة ، وهى تصوّبه إلى
(منى) ، وتصرخ في جنون شيطاني غاضب :

— سأقتل قاتلة شقيقتى .. سأقتلها مادام هذا آخر

ما سأفعله في حياتى .

ولى غمرة غضبها وجنونها .. أطلقت النار ..

جاءت مبادرة (ماريانا) مفاجئة ، حتى أن (منى)

تسمرت في مكانها ، ولم تستطع القفز بعيداً عن مسار
الرصاص ، وكان (أدهم) أبعد من أن ينقذ (منى) ، وكانت
(ماريانا) تحيد إصابة الهدف في براعة ..

ولكن مهلاً أيها القارئ .. لا تسرع في استنتاج ما حدث ،
فما زال هناك .. القدر ..

القدر الذى جعل مسدس (ماريو) يسقط على حافة
الهاوية تماماً ، حتى أن الصفاتة (ماريانا) السريعة ، بعد التقاطها
للمسدس ، جعلت قدميها تنزلقان على حافة الهاوية ، فطاشت
رصاصتها في الهواء ، وترنح جسدها ، وارتسم دُعر هائل على
ملاحمها ، وطوّحت ذراعيها في الهواء ، وكأنها تحاول التثبيت
بشيء ما ، وقفز (أدهم) نحوها ، محاولاً إنقاذها ، ولقد
تلامست أناملهما بالفعل ، إلا أن جسد (ماريانا) اندفع فجأة
إلى الخلف ، وانطلقت من حنجرتها صرخة رعب قوية ، قبل
أن يهوى جسدها في أعماق الهاوية السحيقة ..

وأغلقت (منى) عينيها في دُعر وألم ، وشعر (قدرى) يده
باردة تعصر قلبه ، وأدار (أدهم) وجهه في ضيق ، حتى صكّ
مسامعهم صوت ارتطام جسد (ماريانا) بأعماق الهاوية ..
كان صوتاً خافتاً ، نظراً للعمق الكبير ، إلا أنه بدا في آذانهم

كطلقة رصاص ، مرقّت إلى جوار رؤوسهم ، ثم ساد صمت عميق ، وكأنّ على رؤوسهم الطير ، حتى قطعته (أدهم) مغمغماً :

— لقد تحطّم رأس الأفعى .

غمغمت (منى) فى صوت بالك :

— يا للمسكينة !!

وأشاح (قدرى) بوجهه ، مغمغماً فى ألم :

— لقد دفعت الثمن يا (منى) .. لقد أرادت قتلك ،

ولكن القدر كان لها بالمرصاد .

أوماً (أدهم) برأسه فى هدوء ، وتعمّ فى خفوت :

— نعم يا (أدهم) .. إنه القدر .

وتنهّد ، قبل أن يردف فى عمق :

— القدر الذى كتب لنا النجاة من أفعى (برشلونة) .

ران على الثلاثة صمت ثقيل ، و (أدهم) يقود سيارة

(ماريانا) إلى المطار ، حتى غمغمت (منى) :

— هل سنعود كلنا إلى القاهرة ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

— لا يا عزيزتى .. ستعودين أنت و (قدرى) إلى القاهرة ، أمّا أنا فما زالت أمامى مهمة أخيرة . سألته فى توّثر .

— أية مهمة يا (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء شديد :

— (تيدى فولسونج) .

هتفت (منى) فى توّثر :

— دَعَا نعود إلى القاهرة يا (أدهم) ، وستتولى أمر

(فولسونج) فى مهمة أخرى .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

— لا يا عزيزتى .. إن (فولسونج) الآن على ظهر

(عروس المتوسط) ، وهذه فرصة مثالية لجذع أُنك

(سكوريون) ، وتحطيم مكتبها السياحى فى الوقت ذاته .

ثم ضحك فى سخرية ، قبل أن يردف :

— إنها مهمة سياحية يا عزيزتى .

١٠ — الراكب الأخير ..

لُوح (أدهم) بكفه للطائرة، التي تقل (قدري) و(منى)،
في طريقهما إلى القاهرة، ثم ابتسم وهو يقول :
— لو سارت الأمور على ما يرام، فسلتقى في القاهرة
مساء الغد يا رفيقي .

ووضع كفيه في جيبى سرواله، وأخذ يطلق من بين شففيه
صفيرًا منغومًا، وهو يتجه إلى استعلامات مطار (برشلونة)،
ووقف أمام موظفة الاستعلامات هادئًا، مبتسمًا، وهو
يقول :

— أخبريني يا سنيورا .. هل يمكنني استئجار هليوكوبتر ؟
ابتسمت وهي تسأله في هدوء :

— بالطبع يا سنيور .. ما محطة الوصول ؟
أجابها في هدوء :

— البحر المتوسط .

تطلعت إليه في دهشة، وهي تغغم في خيرة :

— إنني أقصد المكان الذي ستهبط فيه الهليوكوبتر يا سنيور .

أطلق (أدهم) ضحكة صافية، وكأنه رجل لا يشغل
عقله شيء، وقال :

— يبدو أنني أربكتك يا سنيورا .

ثم مال نحوها، مستطرذا في جدية :

— إنني أحد المسافرين على متن (عروس المتوسط)،
ولقد أقلعت السفينة من دولي، وأنا أريد هليوكوبتر لنقلني
إليها في البحر .

ابتسمت الموظفة ابتسامة عريضة، تنم عن ارتياحها
البالغ، وهي تقول :

— في هذه الحالة نحن تحت أمرك يا سنيور .. ستكون
الهليوكوبتر مستعدة بعد نصف ساعة فقط، وستقلك إلى
سطح (عروس المتوسط) في أسرع وقت ممكن .

ابتسم (أدهم) ابتسامة بدت شديدة الغموض، وهو
يقول في هدوء :

— نعم يا سنيورا، فأنا في أشد اللهفة للعودة إلى (عروس
المتوسط) .

★ ★ ★

كان (تيدى فولسونج) يسترخي فوق مقعد قماشى وثير،
أمام حوض السباحة الأنيق، على متن (عروس المتوسط)،
مرتديًا سروال استحمام قصيرًا، يبرز كرشه الضخم، وهو

ينفث دُخان سيجاره الفاخر ، وينقل بصره بين الحساوات
حول حوض الاستحمام ، حينما اندفع نحوه (هنريك) ،
وهتف في توتر واضح :

— مستر (فولسونج) .. لقد وصلتنا رسالة لاسلكية ،
تقول إن أحد الركاب تركه السفينة في ميناء (برشلونة) ،
وأنه سيصل إلى هنا في هليوكوبتر ، استأجرها بنفسه .

ابتسم (فولسونج) ، وهو يقول في هدوء :

— إنه أمر شائع الحدوث يا عزيزي (هنريك) ، فكثيراً
ما يفقد السياح إحساسهم بمرور الوقت ، أمام المعروضات
الأنيقة ، في الموالى التي تتوقف فيها (عروس المتوسط) ،
وكثيراً كثيراً ما تعلق السفينة وقد تركت أحدهم أو بعضهم ..
صحيح أنهم يلحقون بنا في الميناء التالى عادةً ، ولكن هذا لا يمنع
أحدهم من اللحاق بنا على متن هليوكوبتر ، وهذا لا يستحق
كل هذا التوتر الذى

قاطعه (هنريك) في مزيد من التوتر :

— ولكن هذا الراكب يختلف يا مستر (فولسونج) .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

— إنه يدعى (أدهم صبرى) .

انتفض جسد (فولسونج) في قوة ، كمن أصابته صاعقة ،
واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف في صوت متحشرج
مختق :

— ماذا تقول يا (هنريك) ؟ .. هل أصابك الجنون ؟ ..

لقد تخلّصت دونا (ماريانا) من

وبتر عبارته بغتة ، مع تلك الغصة ، التى اختنق بها حلقه ،
ومع شعوره بالندم الشديد ؛ لأنه لم يشاهد جثة (أدهم)
بنفسه ، حينما أبلغه (ماريو) عن مصرعه ، ووجد نفسه
يستطرد في صوت حائر ، وفي لهجة مزعزعة ، تعجز عن إقاعه
هو نفسه :

— لا يمكنه أن يعود من الموت .

قلب (هنريك) كفيه ، وقال :

— هذا ما أبلغه قائد الهليوكوبتر لقبطان السفينة يا مستر

(فولسونج) .

صاح (فولسونج) في توتر :

— اطلب من القبطان أن يرفض هبوط الهليوكوبتر .

تنهّد (هنريك) في خنق ، وقال :

— هل نسيت أن طاقم السفينة يجهل كل شيء عن حقيقة

نشاطنا يا مستر (فولسونج) ؟ .. لقد وجد القبطان اسم
(أدهم صبرى) بين الركاب المتخلفين عن العودة ، فسمح
للهايوكوبتر بالهبوط .

ولم يكذبهم عبارته ، حتى بدا صوت الهايوكوبتر واضحاً ،
وبدت وهى تقترب من السفينة ، وتلفت انتباه الجميع ، ثم
تدور فوقها ، وتهبط فى هدوء ، لتستقر على سطحها ،
و (فولسونج) يغمغم فى توثر :

— لعلها خدعة .. لعله رجل آخر يحمل نفس الاسم أو
وبتر عبارته فجأة ، حينما برز (أدهم) من داخل
الهايوكوبتر ، وجذب انتباه الجميع بوسامته ، وابتسامته الهادئة
الجدابة ، فى حين قبض (فولسونج) على ذراع (هنريك) فى
قوة ، وهو يقول فى انفعال قوى :

— إنه هو يا (هنريك) .. لقد خدع دونا (ماريانا) ..
لقد خدعنا جميعاً .. إنه حتى لم يمت .

ثم التفت إلى (هنريك) ، واستطرد فى صوت مبجوح من
شدة انفعاله :

— لابد أن يُقتل يا (هنريك) .. هل تفهمنى ؟ .. لابد أن
يُقتل .

نقل (هنريك) عينيه بين (فولسونج) و (أدهم) ، ثم
قال فى هدوء :

— نعم يا مستر (فولسونج) .. لابد أن يلقي مصرعه .
ثم أردف فى صرامة :

— وقبل فجر الغد .

★ ★ ★

صافح القبطان (أدهم) فى هدوء ، وابتسم ابتسامة
روتينية ، وهو يقول :

— مرحباً بك مرة ثانية على متن (عروس المتوسط)
يا مستر (أدهم) .. أرجو أن يكون تأخرك عن اللحاق بنا
خيراً .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— لقد كانت عملية بسيطة ، استغرقت وقتاً أطول من
المألوف يا سيدي القبطان .

حافظ القبطان على ابتسامته الروتينية ، وهو يغمغم فى
ضجر :

— حسناً .. مرحباً بك بيننا .

استدار القبطان يهيم بالانصراف ، إلا أنه توقف فى دهشة ،
حينما سأل (أدهم) بغتة :

— هل تعتقد أن وسائل الأمن هنا كافية ياسيدى القبطان ؟

استدار إليه القبطان فى دهشة ، وقال :

— بالطبع يا مستر (أدهم) .. إن وسائل الأمن على متن

(عروس المتوسط) مضرب للأمثال .

ابتسم (أدهم) فى برود ، وهو يقول :

— هل تغنى أنه لو تعرضت السفينة للغرق مثلاً ، فهل يمكن

أن ينجو كل ركابها ؟

هتف القبطان فى حماس وغضب :

— بالطبع .. إن قوارب الإنقاذ تكفى لحمل ضعف عدد

الركاب ، وطاقم السفينة ، كما أن جهاز الإرسال الآلى يرسل

إنذاراً لا يتوقف ، فى حال حدوث أى خطر و

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

— شكراً ياسيدى .. لقد طمأنتى .. الآن يمكنى إغراق

السفينة وأنا مطمئن .

حذق القبطان فى وجهه بدهشة ، ثم حُيِّل إليه أنه فهم

النكته ، فأطلق ضحكة عالية ، وقال فى مرح :

— هذا صحيح يا مستر (أدهم) .. يمكنك إغراق

السفينة بلا قلق .

بأدله (أدهم) الابتسام ، وغادر المكان فى هدوء ، وترك

القبطان يتابعه فى خيره ، وهو يقول ضاحكاً :

— ياله من شخص عجيب !! ويا لها من مزحة عجيبة !!

وعاد يضحك فى مرح ، وهز كتفيه فى لامبالاة ، ثم اتجه

إلى حجرة القيادة فى هدوء .

ولى نفس اللحظة ، كان (هنريك) يتابع (أدهم) ببصره

أيضاً ، وعلى شفاهه ارتسمت ابتسامة شرسة مقبلة ، وهو يغمغم

فى صوت شديد الخفوت :

— امرح ما بدا لك أيها الشيطان المصرى ، فمع آخر دقائق

منتصف الليل ، سيخفق قلبك بآخر نبضاته ، تماماً كما حدث

مع (سندريلا) (*)

وضحك فى وحشية ، وهو يستطرد :

— إلى منتصف الليل أيها الشيطان المصرى .

★ ★ ★

(*) سندريلا : واحدة من القصص الشعبية الشهيرة ، التى تحكى

قصة فتاة اضطهدتها زوجة أبيها ، وعاونتها ساحرة على حضور حفل

الأمير ، واشترطت عودتها قبل منتصف الليل ، وإلا عادت ملبسها

الأنيقة إلى وضعها الأول الرث .

١١ — رصاصة منتصف الليل

أشارت عقارب الساعة الأنيقة ، المعلقة في زُدهة (عروس المتوسط) ، إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، حينما تسَلَّل (هنريك) إلى حجرة (أدهم) ، وقرع بابها في هدوء . وهو يقول :

— خدمة السفينة يا مستر (أدهم) ، هل تحتاج إلى أية خدمات ؟

ولمّا طال انتظاره للجواب ، عاد يقرع الباب ، وهو يعتقد حاجيه ، قائلاً في صوت اكتسب رُتة حادة :

— هل من خدمة يمكنني تقديمها يا مستر (أدهم) ؟
كان الجواب الذي تلقّاه في هذه المرّة هو الصمت المطبق ، فنلقت حوله ، وأخرج مسدّسه من مئزره ، ودفع الباب في قوّة ، وقفز داخل الحجرة ، ثم لم يلبث أن تطلّع حوله في خيرة ودهشة بالفتن ، حينما تبين أن الحجرة خالية تماماً ، وتعلّق بصره لحظة بالنافذة المستديرة المفتوحة ، وغمغم في توأثر :

— أين ذهب بحقّ الشيطان ؟.. إننى أراقب حجرتي منذ

ولجها ، وهو لم يغادرها قط !!

وتقدّم من النافذة في حذر ، وتطلّع منها إلى البحر المظلم ، ثم أعاد مسدّسه إلى مئزره ، وهو يقول :

— مستحيل أن يكون قد خرج من النافذة ، فهي تبعد عن السطح ثلاثة أمتار ، والقفز من هنا إلى أعلى يحتاج إلى قدرة تفوق البشر .

ثم عاد يتطلّع إلى الحجرة الخالية في خيرة ، وهو يغمغم :

— ولكن أين ذهب ؟.. أين ؟

تعلّق (أدهم) يُسراه في قوّة ، في جهاز الشفط القوي ، الذي ثبته بجسم السفينة من الخارج ، وانهمكت يُمناه في تثبيت قبلة مغناطيسية دقيقة في جانب السفينة ، بالقرب من منسوب المياه ، ثم غمغم في سخرية :

— حاول أن تلتهم أكبر قدر من المتعة ، قبل أن تشير عقارب الساعة إلى تمام الثانية عشرة والنصف أيها الوغد (فولسونج) ، فحينئذ ستبدأ المعمة الكبرى ، التي ستحمل توقيع (أدهم صبرى) .

وتشبّث بجهاز الشفط ، ليرفع جسده إلى حاجز السفينة ، وتعلّق به في قوّة ، ثم رفع جسده إلى سطحها في حذر ، وابتسم حينما لمح السطح الخالي ، فقفز فوقه ، وأنصت لحظة إلى الموسيقى الصاخبة ، التي ترتفع من حجرة الطعام ، وغمغم :

— لقد أعددت لرواد سفينتك برنامجًا رائعًا بالفعل
يا (فولسونج) ، فلقد جذبتهم روعة الفرقة الموسيقية إلى
حجرة الطعام ، فبقى السطح خاليًا تمامًا ، مما سمح لي بأداء
مهمتي في هدوء .

وعُدل من حُلّة السهرة الأنيقة التي يرتديها ، وأعاد خصلة
نافرة من شعره إلى موضعها ، وهو يغمغم مستطرًا :
— واعتقد أنك لن تمنع في استمتاعي بالبرنامج الحافل ،
قبل أن يتحطم كل شيء أيما الوغد الـ

وفجأة .. انبعث صوت مكتوم ، أعقبه أزيز جسم يشق
الهواء في سرعة ، ثم صوت ارتطام هذا الجسم بصدر
(أدهم) ، في موضع القلب تمامًا ، فترنح لحظة ، ثم سقط في
حوض السباحة ، وغاص إلى أعماقه ..

وبرز (هنريك) من ركن مظلم ، وأساريره تهلّل بفرحة
الظفر ، وشهرة الشماعة ، وهو يغمغم في انفعال :

— لقد نجحت فيما فشل فيه الآخرون .. لقد قُلت
الشیطان المصري .

★ ★ ★

كان الظفر يملأ قلب (هنريك) في قوّة ، حتى أنه لم يحاول

إخفاء مسدّسه المزوّد بكاتم للصوت ، وهو يهرع إلى حوض
السباحة ، وينحن محاولاً اختراق ظلمته ببصره ، وهو يهتف
في فرح :

— لقد انتصرت .. لقد قُلت .. قُلت .

وفجأة .. برز جسد (أدهم) من وسط المياه ، وقفز
مخترقًا ظلمتها كشيطان مريد ، أو كشبح عاد من عالم الموتى ،
ليقتص من قاتله ، وشهق (هنريك) في رُعب هائل ، وشعر
بقبضة (أدهم) تمسك سترته ، وتجذبه إلى قاع حوض
السباحة ، وحاول أن يصرخ في دُعر ، ولكن جسده غاص
في مياه الحوض الباردة ، وتحوّلت صرخته إلى مجموعة من
الفقايق الهوائية الضخمة ، وشعر بذراعه تلتوى خلف
ظهره .. وبمسدّسه يقلت ، ويغوص في أعماق الحوض ، ثم
شعر بذراع فولاذية تحمله إلى أعلى ، فشهِق في ألم وخوف ،
واحتبست شهقته في حلقة ، حينما رأى عيني (أدهم)
الساخرتين ، تتطلعان إلى عينيه مباشرة ..

فاضت عروق (هنريك) بالرعب والقهر ، وهتف في
صوت مختنق لاهث :

— مستحيل !! لقد أصابتك رصاصتي في قلبك تمامًا .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
 — يبدو أن موعد مصرعى لم يحن بعد أيها الوغد ، ومن
 حسن حظى أنك أطلقت رصاصتك على القلب مباشرة ، فلقد
 أنقذنى هذا ، بفضل زعيمك الوغد (فولسونج) .
 جمحظت عينا (هنريك) في ذهول ، وهو يغمغم :
 — (فولسونج) ؟ !

وفي حركة سريعة ، أخرج (أدهم) ، من جيب مئترته
 العلوية ، مفتاح حجرته الذهبى ، المعلق فى ميدالية معدنية .
 ضخمة ، ارتسم عليها شعار (عروس المتوسط) ، واستقرت
 رصاصة (هنريك) فى وسطها ، وقال فى نهكم لاذع :
 — لقد أحسن زعيمك الوغد اختيار تلك الميدالية ، فلو
 أن معدنها أردأ صنعا ، أو أقل سمكا ، لفدت رصاصتك فى قلبى
 بالفعل .

هتف (هنريك) فى صوت أقرب إلى الانهيار :
 — مستحيل !!.. إن شياطين الجحيم تقوم على حمايتك .
 عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :
 — الشياطين لا تحمى أحداً أيها الوغد .
 ثم هوى بقبضته على فك (هنريك) ..

★ ★ ★



برز جسد (أدهم) من وسط المياه ، وقفز مخترقاً ظلمتها كشيطان
 مريد ، أو كشبح عاد من عالم الموتى ؛ ليقتصر من قاتله ..

تحرك (تيدى فولسونج) في أرجاء حجرته بتوتر بالغ ،
وتطلع إلى ساعته في قلق ، وهو يغمغم ساخطاً :
— الثانية عشرة والثلاث .. لو أن (هنريك) نجح في
مهمته ، طرغ إلى هنا ، وأبلغنى بنجاحه .
لم يكدم عبارته ، حتى ارتفع صوت دقات هادئة على باب
حجرته ، فارتجف جسده الضخم ، واختق صوته ، وهو
يقول :

— من ؟ .. من بالباب ؟

أتاه صوت (هنريك) يقول :

— إنه أنا يا مستر (فولسونج) .

أسرع (فولسونج) في انفعال ، إلى باب حجرته ، ولكنه
لم يكدم يفتحه ، حتى شعر وكأن برودة القطب الشمالى كلها
قد انصبّت في عروقه ، وحولته إلى قطعة من الثلج ؛ فبدلاً من
أن يطالعه وجه ربيبه (هنريك) ، كما كان يتوقع ، صدمته
ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وحطّمه صوته البارد ، وهو
يقول :

— هل أدهشتك أيها الوغد ؟

اتسمت عينا (فولسونج) عن آخرهما ، وارتجفت أطرافه

في قوّة ، وكاد ينفجر بالبكاء ، حينما دفعه (أدهم) إلى
الداخل ، وأغلق الباب خلفه في برود ، وهو يستطرد :
— هل أعجبتك رحلة (عروس المتوسط) يا مستر
(فولسونج) ؟

بذل (فولسونج) مجهوداً خرافياً ، ليهتف في صوت مختق :
— ماذا تريد منى يا مستر (أدهم) ؟ .. إننى لم أفعل لك شيئاً .
رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول
ساخراً :

— عجباً !! .. أراهن أنك لا تعرف أيضاً من يدعى
(بن كريم) ، ولا دونا (ماريانا) ، ولا هنريك .
ثم قلب شفّيه في أسف ساخر ، وهو يستطرد :
— إنك لن تأسف إذن لمصرع (بن كريم) ، ولا لمقتل
دونا (ماريانا) ، ولا

قاطعه (فولسونج) ، وهو يصرخ في ذعر :

— دونا (ماريانا) ؟ ..! هل قتلت دونا (ماريانا) ؟

هزّ (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

— إننى لا أميل للقتل أيها الوغد .. لقد فضّلت هى
الانتحار ، فألقت نفسها في الهاوية .

١٢ — حفل الشيطان ..

من الأسباب الرئيسة ، التي جعلت الموت يتخطى (أدهم صبرى) ، فى عديد من المواقف البالغة الخطورة ، هى تلك الموهبة الخارقة ، التى حباه بها الله (سبحانه وتعالى) والتى تعرف علمياً باسم (سرعة الاستجابة العصبية — العضلية) ، والتى تجعله يفكر ، ويتخذ القرار ، وينفذه فى وقت قياسى ، يبلغ ربع الوقت اللازم لأى إنسان عادى ..

ولقد كان هذا هو سبب نجاة (أدهم صبرى) فى هذه الليلة ..

لقد التقطت عيناه مشهد الخنجر الحاد ، الذى يندفع نحوه فى سرعة ، وأرسلت أعصابه البصرية المشهد إلى مخه ، الذى اختزنه فى سرعة مذهلة ، وراجع مع عشرات المواقف والخبرات السابقة فى جزء على مائة من الثانية الواحدة ، ثم أرسل إشارة فائقة السرعة إلى العضلات ، التى استجابت كالبرق ، فانحنى (أدهم) ، ومال جانباً ، وترك الخنجر يمرق إلى جوار رأسه ، ويتجاوزه ، ولم يحاول الالتفات لمعرفة سر تلك الحشرة المؤلمة ، التى تشبه خوار ثور صريع ، والتى انطلقت من حنجرة (تيدى فولسونج) ، بل قفز نحو (هنريك) ، الذى صرخ فى ذهول :

تصيب. عرق غزير على وجه (فولسونج) ، وارتسم الرعب بأشنع صورته فى ملامحه ، فى حين تطلع (أدهم) إلى ساعته ، وقال فى هدوء :

— والآن تبدأ الحملة التأديبية ضدك أيها الوغد .
ولم يكذب يختم عبارته ، حتى ارتجت السفينة بانفجار قوى ، ارتجفت له عروق (تيدى فولسونج) حتى الأعماق ..

تهاوى (فولسونج) على ركبتيه ، وهتف فى انهار :
— ماذا فعلت أيها الشيطان ؟ .. ماذا فعلت ؟
بدت لهجة (أدهم) قاسية ، باردة ، وهو يقول :
— لقد رأيت أنك لا تستحق (عروس المتوسط) بكل فخامتها أيها الوغد ، لذا فقد قررت إغراقها .
صرخ (فولسونج) فى غضب هادر :
— عليك اللعنة !! عليك اللعنة !!
وفجأة .. تألقت عيناه (فولسونج) ببريق عجيب ..
بريق لا يشبه ما يمكن أن يصيب رجلاً فقد سفينة بالغة الفخامة ..
بريق جعل (أدهم) يلتفت خلفه فى سرعة وقلق ، ورأى (هنريك) يقف على باب الحجرة ، والكراهية ترتسم فى كل خلجة من خلجاته ، وخنجرة الحاد يشق الهواء ، فى طريقه إلى قلب (أدهم) تماماً .

— مستحيل !!

ثم انحنى إلى الأمام ، إثر لكمة قوية ، غاصت في أحشائه ،
وعاد يعتدل مع لكمة ثانية حطمت أنفه ، وضاع دويها مع
انفجار القبلة الثانية ، وارتجاج (عروس المتوسط) القوي ،
وصراخ رؤاها ، وهم يتدافعون خارج حجراتهم ، ينشدون
النجاة من حفل الشيطان ..

وسقط (هنريك) عند قدمي (أدهم) فاقد الوعي ،
واستدار (أدهم) إلى (فولسونج) ، وعقد حاجبيه في ضيق ،
حينما رأى خنجر (هنريك) ، المفروس في عنق زعيمه ..
وأسرع (أدهم) إلى (فولسونج) ، الذي يلتقط أنفاسه
الأخيرة في صعوبة ، وقد جحظت عيناه في ألم ، وقال (أدهم)
في اهتمام :

— لا تتحدث يا (فولسونج) .. حاول أن تدخر قواك
لـ

قاطعه (فولسونج) بضحكة مريرة ، وهو يقول في ضعف :
— عجباً لك أيها الشيطان !!.. أتفعل بي كل هذا ، ثم تحاول
إنقاذ حياتي ؟

غمغم (أدهم) في ضيق :



فانحنى (أدهم) ، ومال جانباً ، وترك الخنجر يمرق إلى
جوار رأسه ، ويتجاوزة ، ولم يحاول الالتفات ..

— لو أنك تصوّر أننى أهوى القتل ، فأنت مخطئ
يا (فولسونج) ، فالقتل شيء بشع بغيض ، وأنا لا أجا إليه
إلا مضطراً .

أطلق (فولسونج) ضحكة متحشجة ، وثقل جفناه ،
وهو يغمغم فى ضعف شديد :

— تباً لك أيها الشيطان .. تباً لك ولمنطقك المتناقض
العجيب .

وحاول أن يطلق ضحكة أخرى ، ولكن عينيه جحظتا فى
قوة ، واحتبست أنفاسه فى صدره ، ثم لفظها ، وتحول إلى جثة
هامدة ، خالية من الروح .

نهض (أدهم) فى ببطء ، وغمغم :

— صدّقنى أيها الوغد .. إننى أبغض القتل .

وارتجت السفينة إثر انفجار القنبلة الثالثة ، فانتزعته من
توثره ، والتفت إلى (هنريك) الفاقد الوعى ، وقال :

— نعم يا (هنريك) .. إننى أبغض القتل دون مبرر .

وحمل جسد (هنريك) فوق كتفه ، وأسرع يحاول الفرار
من خاتمة حفل الشيطان ..

شمل التوثر والاضطراب كل شبر على سطح السفينة ،
وتدافع رؤاؤها فى رعب ، يحاولون الهبوط إلى زوارق
الطوارئ ، التى غمرت سطح البحر ، فى المنطقة المحيطة
بالسفينة ، ووقف القبطان ورجاله يحاولون تنظيم الموقف ،
وسط الاضطراب البالغ ، وهتف أحد ضباط (عروس
المتوسط) :

— إنها عملية تخريب ولاشك .. أين مستر (فولسونج) ؟
هتف القبطان فى صرامة :

— الجميع يتساوون أمام الخطر أيها الضابط ، متعاون
الركاب على النجاة أولاً ، ثم نذهب للبحث عن مستر
(فولسونج) .

صاح الضابط فى اضطراب شديد :

— ولكن من فعل ذلك ؟.. لقد اختار مواضع القنابل فى
دقة مذهلة ، بحيث يصبح إنقاذ السفينة من الفرق مستحيلاً ،
وفى نفس الوقت لا يصاب أى من ركبها بأذى ، باستثناء حالة
الذعر الهائلة .

قفزت صورة (أدهم صبرى) فجأة إلى ذهن القبطان ،
واستعاد عقله حديثهما العجيب ، فغمغم فى غضب :
— ليس المهم أن نعرف من أيها الضابط .. المهم أن نتمكن
من إثبات ذلك .

وفي تلك اللحظة هتف الضابط ، وهو يشير إلى ركن
السفينة :

— يا إلهي !! انظر ياسيدي .

التفت القبطان إلى حيث يشير الضابط ، واتسعت عيناه
في دهشة ، حيناً رأى (أدهم) يسرع إلى حيث يقفان ، وهو
يحمل (هنريك) الفاقد الوعي فوق كتفه ، وهتف به القبطان
في تولر :

— أين مستر (فولسونج) ؟

أجابه (أدهم) في هدوء عجيب ، لا يتفق مع الموقف
العصيب :

— لقد لقي مصرعه .

ثم أسرع يستطرد في لهجة أمرة ، صارمة :

— هل نجا الجميع ؟

هتف القبطان :

— كل الركاب وطاقم السفينة في قوارب النجاة ، لم يبق

سوانا .

صاح (أدهم) بنفس لهجة الأمرة :

— هلم إذن .. قبل أن تغوص (عروس المتوسط) إلى

أعماقه .

قفز القبطان وضابطه إلى قارب الإنقاذ الأخير ، وتبعهما
(أدهم) بحمله ، في نفس اللحظة التي دوى فيها الانفجار
الرابع ، وانطلق صوت — عبر مكبرات الصوت — يقول في
لهجة مرحة :

— مرحباً بكم على متن (عروس المتوسط) .. أفخر سفينة
سياحية في العالم .. تبدأ رحلتنا ..
غمغم القبطان في خنق :

— إنها الأسطوانة الآلية .. لقد أدى الانفجار إلى
تشغيلها .

هتف به (أدهم) :

— فلتذهب الأسطوانة إلى الجحيم .. المهم أن نبعد من
هنا ، قبل أن تجرفها الدوامة التي ستشأ من غرق السفينة ،
فلنحق بها إلى الأعماق .

أسرع الضابط يشغل محرك الزورق ، ليبعد عن السفينة ،
التي غاصت مؤخرتها في البحر ، وارتفعت مقدمتها على نحو
مخيف ، ثم بدأت تغوص ، في حين تعلقت بها أنظار روادها ،
ووجوههم الشاحبة ، من زوارق الطوارئ ، في نفس الوقت
الذي ارتفع فيه صوت الأسطوانة الآلية المرح ، يهتف :

— ستكون رحلة لن تنسوها .. لن تنسوها أبداً .

« لقد تجاوزت حدودك هذه المرة يا (ن — ١) ..
تجاوزتها تمامًا » .

صرخ مدير المخابرات المصرية بهذه الكلمات في وجه
(أدهم صبرى) ، الذى بدا هادئًا ، وهو يقول :
— ولكنها لم تكن مهمة رسمية ياسيدى .. لقد كانت عملية
خاصة .

صاح مدير المخابرات في غضب :
— لا توجد عمليات خاصة ، بالنسبة لمن يعمل في المخابرات
العامة يا (ن — ١) ، لقد تلقيت تدريباتك هنا ، ونصف
خبرائك على الأقل مكتسب من هنا ، وهذا يجعلنا أصحاب حق
في كل شيء تفعله .

غمغم (أدهم) في ضيق :

— إلا حياتى الخاصة ياسيدى .

صاح المدير في حنق :

— حياتك الخاصة ؟! .. هل تسمى ما فعلته حياة خاصة أيها
المقدم ؟! .. لقد هاجمت منظمة تجسس قوية ، وحاربت واحدة
من ملكات الجريمة في (إسبانيا) ، وتطلق على هذا اسم حياتك
الخاصة ؟!

ثم زفر في قوة ، وربّت على كف (أدهم) في حنان أبوى ،
وهو يستطرد :

— ليس من حقلك أن تلجأ إلى الانتقام الشخصى يا (أدهم) ..
كف بالله عليك عن أداء دور (الكونت دى مونت
كرهستو) .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد أعجبتى جدًا شخصية (إدموند دانتس) في رواية
(ألكسندر دumas) ياسيدى ، ولو أننى في موقع (دانتس) ،
لفعلت ما فعله في (الكونت دى مونت كرهستو) .
مطّ مدير المخابرات شففيه في أسف ، وهو يقول :
— ولكن (دانتس) لم يشعر بالسعادة بعد أن حقق انتقامه
يا (أدهم) ، فالانتقام أمر بشع ، لا يربح صاحبه أبدًا في
النهاية .

وعاد يتنهد ، وهو يردف :

— لقد أعماك الانتقام ، حتى أنك نسيت الأبرياء .. ألا
تدري ما فعلته برؤاد (عروس المتوسط) ، حينما فجّرت السفينة .
هتف (أدهم) في انفعال :

— لقد ورّعت القنابل بحيث لا تؤذى أحدًا ياسيدى .

صاح المدير في حلق :

— وهل نسيت متاعهم ، ونقودهم ، وخُلِيهم التي تركوها
خلفهم من شدة الفزع ؟ .. صحيح أنهم لم يفقدوا أرواحهم ،
ولكنهم فقدوا الكثير يا (أدهم) .

شعر (أدهم) بكلمات مدير المخابرات تمزق شيئاً ما في
أعماقه ، وتبعث في نفسه شعوراً بالندم ، لم يراوده أبداً من
قبل ، حتى أنه غمغم في خفوت :

— إننى لم أفكر في هذا في الواقع ياسيدى .

تنهد المدير في ارتياح ، وقال :

— هذا ما يفعله بنا الانتقام يا (أدهم) .. إنه يحول المرء
إلى جواد برئ جامع أعمى ، يطاء كل شيء في طريقه بلا رحمة
أو تفكير ، في سبيل الوصول إلى هدفه ، ولقد منحك الله
(سبحانه وتعالى) قدرات متميزة ، وعليك ألا تستخدمها إلا
في الحق والعدل ، وإلا تحولت من نعمة إلى نقمة .

أطرق (أدهم) برأسه ، وهو يقول :

— هذا صحيح يا سيدى .

ابتسم المدير في ارتياح ، وقال :

— الآن فقط يمكننى أن أطمئن عليك يا (رجل المستحيل) .

لم يكذ المدير يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فالتقط
سماعته ، واستمع في هدوء ، ثم ابتسم وهو يناولها لـ (أدهم) ،
قائلاً :

— إنه شقيقك الدكتور (أحمد صبرى) ، لقد اتصل بك
في مكتبك ، فحوّلوا المكالمة إلى هنا .

التقط (أدهم) السماعة في لهفة ، وقال :

— أنا (أدهم) يا (أحمد) .. كيف حالك ؟

أناه صوت شقيقه ، غير أسلاك الهاتف ، يهتف في لهفة
مماثلة :

— كيف حالك أنت يا (أدهم) ؟ .. لقد قرأت أخبار
غرق (عروس المتوسط) ومصرع (فولسونج) المسكين ،
ولقد غشيت أن

قاطعه (أدهم) في لهجة ضاحكة :

— لم يكن (فولسونج) مسكيناً يا صديقى ، لقد كان
يستحق هذه النهاية .

هتف الدكتور (أحمد) في دهشة :

— كيف ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— سأقص عليك كل شيء يا أخى العزيز .. سأقص عليك
قصة (رحلة الهلاك) ، وما حملته من صراعا مع (أفعى
برشلونة) .. سأقص عليك القصة كلها يا شقيقى الوحيد .
وابتسم مدير التحريات فى حنان ، وغادر مكتبه فى هدوء ،
وهو يفهم :

— يالك من جواد برئ جامع حقاً يا (رجل المستحيل) !!

[تمت بحمد الله]

باسم

رقم الإيداع : ٣٦١٩

www.dvd4arab.com